الرابطة

شهرية-علمية-ثقافية
عدد 711 - ربيع الآخر 1447هـ

- د/ عبدالله نصيف في ذمة الله
- رسّام فرنسي قادته الصحراء لاعتناق الإسلام

قمة القادة الدينيين..
تضامن ديني دولي لدعم حل الدولتين

الرابطة - شهرية، علمية، ثقافية - تصدرها رابطة العالم الإسلامي - العدد 711 ربيع الآخر 1447هـ

حوار إنساني وتنسيق مؤسسي من قلب ماليزيا

في كوالالمبـور، حيث تتقاطع الجغرافيا الآسـيويّة مـع عمقهـا الحضـاريّ والدّينـيّ، بـرزت ماليزيا بوصفها منصـةً دوليةً لعملٍ إسلاميّ مؤسّسـيّ رصين قادته رابطة العالم الإسلامي،

وعلى رأسـها معالي أمينها العام الشّيخ الدّكتور محمّـد بن عبـد الكريم العيسـى، عبر سلسـلة مـن المؤتمـرات والمجالس العلميّـة والفكريّة التي تجـاوزت الطابع البروتوكولي إلى تأسـيس مسـارٍ إنسـانيّ وحواريّ ذي أثرٍ عالمي. ولم يكن اختيار ماليزيا مجرّد إطارٍ مكانيّ، بل تعبيرًا واعيًا عـن موقعها كدولـةٍ جامعةٍ بين التّعـدّد الدّينيّ، والاستقرار المؤسّسي، والانفتاح الحضاري.

وقد اكتسـبت هذه المؤتمرات زخمًا اسـتثنائيًّا بمشـاركة رئيـس الحكومة الماليزيـة إلى جانب الشّـخصيّات الدّينيّة والفكريّة الدّوليّة، في مشهدٍ عكس إدراك الدّولة الماليزيّة لثقل الرسالة التي تضطلع بها الرابطة، وأكّـد أنّ القضايا المطروحة لم تكن شـأنًا دينيًّا داخليًّا، بل مسؤولية أخلاقيّة وإنسانيّة عالمية.

وفي هذا الإطار، شـهدت ماليزيا انعقاد مؤتمرات دوليّـة جمعت قيادات دينيّة من مختلف الأديان والطّوائـف، إلـى جانب علمـاء الإسلام ومفكّريه، حيـث صـدرت مواقـف جماعيّة مسـؤولة تُدين الانتهاكات بحق المدنيّين، انطلاقًا من مرجعيّات أخلاقيّـة وإنسـانيّة تتجـاوز الانتمـاءات الضّيّقة، وتؤكّد أنّ حماية الإنسان قيمةٌ عليا تلتقي عندها الشّـرائع والعقول السّـليمة. وبالتّوازي مع هذا البعـد الإنسـاني، اضطلعت الرابطة بـدورٍ علميّ تخصصيّ بالغ الأهمية من خلال المؤتمر العالميّ للتّصديقً على الإجـازات القرآنيّة، الذي انعقد في ماليزيـا بوصفه مشـروعًا علميًّا يهدف إلى ضبط منهج الإقراء، وتوثيق الأسانيد، وتوحيد المعايير العلمية في تعليم القرآن الكريم،

ولا سـيّما في منطقة جنوب شرق آسيا، بما يعزّز الثّقة بالمنظومة التّعليميّة القرآنيّة ويحفظ لهذا العلم الشّريف مكانته ومنهجيّته.

كمـا شـكّل اجتماع علمـاء دول الآسـيان محطّةً مفصليّـة في بناء تعاونٍ علميّ إقليميّ مُسـتدام، حيث اجتمع العلماء والمفتون لبحثً التّحدّيات الفكريّـة والدّعويّـة المعاصرة، وتنسـيق الجهود العلميـة بمـا يراعـي خصوصيّـات المجتمعات الآسـيويّة، ضمـن رؤيـةٍ تـوازن بيـن الثّوابـت الشّـرعيّة ومتغيّـرات الواقـع، وتُؤسّـس لعملٍ علميّ جماعيّ طويل الأمد.

ويكتمـل هذا المسـار العلمي والمؤسّسـي بما أولاه المجمّـع الفقهـيّ الإسلامـيّ التّابـع لرابطة العالم الإسلامي من عنايةٍ خاصةٍ بملف «تدريس الفقه الإسلامي وتكويـن الفقيه:معالم وضوابط، بوصفـه ركيـزةً أساسـيّةً في بناء العقـل الفقهيّ المعاصر، إذ أكّد هذا التّوجّه على ضرورة الجمع بين الرّسوخ في الأصول، وفهم المقاصد، والوعي بالواقع، وعلى أنّ تكوين الفقيه لا يتحقق بالتلقّي المجتـزأ أو الخطـاب المنفصـل عـن الزّمن، بل بمنهـجٍ علميّ متكامـل يضبـط أدوات الاجتهاد، ويصونً الفتوى مـن الاضطّراب، ويؤهّل العلماء لتحمّل مسؤوليّتهم الشّرعيّة والإنسانيّة في عالمٍ متسارع التّحدّيات.

إنّ مـا أنجزتـه رابطة العالم الإسلامـي في ماليزيا لـم يكن مجـرّد تنظيـم مؤتمرات، بل مشـروعًا حضاريًـا متـكاملاً يجمـع بيـن الحوار الإنسـانيّ، والضّبط العلميّ، والتّنسـيق المؤسّسيّ، ويقدّم نموذجًـا للإسلام حيـن يُعبّـر عنـه بعلمٍ راسـخ، وحكمةٍ مسـؤولة، ورسـالةٍ تخاطب الإنسان قبل العناوين، وتخاطب المستقبل قبل اللّحظة.

شهرية - علمية - ثقافية

أ. عبدالوهاب بن محمد الشهري	مساعد الأمين العام للاتصال المؤسسي
أ. ياسر بن صالح الغامدي	مدير عام المحتوى
د. عثمان أبو زيد	رئيس التحرير
د. أحمد بن حمد جيلان	المستشار الإعلامي
أ. عبدالله بن خالد باموسى	مدير التحرير

- المراسلات: مجلة الرابطة ص.ب 537 مكة المكرمة - هاتف: 00966125309387 المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير - البريد الإلكتروني: mwljournal@themwl.org.
- الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

المحتويات

Contents

نظمه المجمع الفقهي بالرابطة
ماليزيا:إطلاق ملتقى فقهاء المسلمين الأول 4

بعد اختتام أعمالهم في القمة الدولية بكوالالمبور
٤٠٠ عالم وفقيه إسلامي يدينون مجازر غزة..
ويؤيدون مشروع حل الدولتين 8

الأمين العام يختتم الملتقى العالمي
للتصديق على الإجازات القرآنية،
وتكريم قُرّاء دُول «آسيان» 14

الأمين العام للرابطة يفتتح الاجتماع الثالث
بمجلس علماء «آسيان» 18

د/ عبدالله نصيف في ذمة الله 24

مدير جامعة أفريقيا: وفرنا مراكز دراسة
خارج السودان للطلاب المتأثرين بالـ«الحرب» 36

رسّام فرنسي قادته الصحراء لاعتناق الإسلام 42

- للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع الرابطة على الإنترنت: www.themwl.org
- طبعت بمطابع تعليم الطباعة - رقم الإيداع: 343/1425 - ردمد: 1658-1695.

نظمه المجمع الفقهي بالرابطة

ماليزيا:إطلاق ملتقى فقهاء المسلمين الأول

الرابطة - كوالالمبور

دشّن معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس هيئة علماء المسلمين، فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، في العاصمة الماليزية «كوالالمبور»، أعمالَ ملتقى الفقهاء الأول بعنوان: «تدريس الفقه الإسلامي وتكوين الفقيه: معالم وضوابط»، الذي ينظّمه المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي، برعاية دولة رئيس الوزراء الماليزي، السيد أنور إبراهيم، وبحضور معالي الشيخ د. صالح بن حميد، إمام وخطيب المسجد الحرام، رئيس مجمع الفقه الإسلامي الدولي بمنظمة التعاون الإسلامي، وسماحة مفتي الولايات الفيدرالية الماليزية، الشيخ أحمد فواز بن فاضل، ومعالي الأمين العام لهيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية؛ مُلقياً كلمة سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية، رئيس هيئة كبار العلماء، رئيس المجمع الفقهي الإسلامي بالرابطة، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، ومشاركاً في جلسات الملتقى، وعددٍ

من كبار مفتي وفقهاء العالم الإسلامي ودُوَل الأقليّات.

وأوضح معالي الأمين العام لهيئة كبار العلماء، عضو المجمع الفقهي الإسلامي، رئيس اللجنة العلمية بالمجمع، الشيخ الدكتور فهد بن سعد الماجد في كلمته التي ألقاها نيابةً عن المفتي العام للمملكة العربية السعودية، أنّ الفقه علمٌ دقيقٌ يتعلّق بتخصص محدّد، مشيراً سماحته إلى أنّ المكتبة الإسلامية تزخر اليوم بإنتاجٍ فقهيّ يعزّ نظيره.

وأعرب سماحة المفتي العام عن أمله في أن يخرج الملتقى بدراسات وتوصيات تتعلّق بتقريب هذا المحتوى الفقهي الكبير لطلبة الفقه الإسلامي، إضافة إلى دراسة مناهج تدريس الفقه

د. العيسى: التعدّدُ المذهبيُّ في الفقه الإسلامي مصدر اثراء علمي يبرز سعة الشريعة ومرونتها، وينسجم مع مختلف الزمان والمكان والأحوال

في جامعات العالم الإسلامي، وما مدى قوتها وأثرها في تخريج فقيهٍ يستطيع البحث والنظر، ودراسة المسائل والنوازل.

كما أعرب سماحته عن شكره للمجمع الفقهي الإسلامي، الذي يأتي في منظومة مؤسسات رابطة العالم

الإسلامي، هذه الرابطة التي قدّمتها المملكة العربية السعودية للعالم الإسلامي كي تساعد على جمع الكلمة، وتبني أواصر المحبة بين المسلمين، وتواجه نوازلهم الفقهية المعاصرة بنظرٍ علميّ متينٍ عبر هذا المجمع العريق.

ورحّب معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، الشيخ محمد بن عبدالكريم العيسى، بحضور هذا الملتقى المبارك، مؤكّدًا أنّ الفقهَ الإسلاميّ في امتداده التاريخي الحافل كان ولا يزال المرجعَ الشرعيّ في العِلم بالأحكام الفرعية العملية المستمدّة من الأدلة التفصيلية، مُبصِراً المسلمين بدينهم على هَدي شريعتهم.

وأوضح أنّه كان لفقهاء الأمّة الكبار إسهامٌ ميمونٌ في تعزيز وحدة الأمّة الإسلامية من خلال تمتين صلات العلم وأدبه بين المدارس الفقهية، وذلك انطلاقاً من نيّاتهم الصادقة، ورحابة صدورهم، وصفاء قلوبهم، وراسخ علومهم، فكانت ساحةُ العلم رحبةً بهم، يُجلّلهم أدبُ الإسلام الرفيع، وهو ما جعل هذا التعدّد المذهبي مصدرَ إثراءٍ علميّ، مبرزاً معالم السّعة والمرونة في شرعنا الحنيف، وانسجامه التام على اختلاف الزمان والمكان والأحوال.

وشدّد معاليه على أنه لمْ يضِق بهذا التنوّع ورحابته العلمية إلا مَن ضاق علماً وأفقاً وباعاً، محذِّراً من خطورة أولئك الذين حفِظوا متون النصوص ولمْ يستوعبوا معانيها وأدبها العالي، ولمْ يعلموا أنّ فضلَ الله واسعٌ، وشريعته حنيفية سمحة، وأنّ تأليفَهم لقلوب إخوانهم قد يكون وفق الموازنة بين المصالح والمفاسد، خيراً لهم في دينهم ودنياهم من اجتهاد أصابوا فيه.

كما شدّد في هذا الصدد على ضرورة استيعاب الاجتهادات الفقهية، وبناء الجسور بين المذاهب الإسلامية، تداولاً وتفاهماً واحتراماً متبادلاً، مؤكداً أنّ علماء الأمّة، وقد تنوّعوا في اجتهاداتهم، إنّما هم لبِنات في بناء واحد؛ يزداد جمالاً في كثير من تنوّعه وتكامُله.

وختم فضيلته بالقول: «في هذا اللقاء المبارك كانت هناك لجنة تحضيريةٌ اضطلَعت بكامل المسؤولية فيما نحسَب، وانتهت إلى إصدار هذا المجلّد الزاخر ببحوثه المتعمقة والمدققة في شأن تدريس الفقه الإسلامي، وتكوين الفقيه، في سياق معالم وضوابط مهمّة، فأجزل الله مثوبتهم».

من جانبه، أكّد معالي إمام وخطيب المسجد الحرام، رئيس مجمع الفقه الإسلامي الدولي، عضو المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي، فضيلة

صالح بن حميد: الفقه الإسلامي ليس أحكاماً جامدة بل هو علمٌ حيٌّ يتطوَّر مع الزمن

الشيخ الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد، أنّ الفقه الإسلامي ليس أحكاماً جامدة بل هو علمٌ حيّ يتطوّر مع الزمن، مستمدٌّ من الكتاب والسّنّة، مراعٍ للواقع المتغيّر، مع الحفاظ على ثوابته الأصلية.

وأوضح أنّ تطوير الدرس الفقهي يعني تقريب سلّم الاجتهاد في أدواته ومعاييره، والاستفادة من مصادر الفقه ومخرجات اجتهادات الفقهاء المتقدمين والمعاصرين، واستيعاب لغة الفقه ومصطلحاته، ليتسنّى إدراك أصول الفقه وفروعه، ومعالجة المستجدات دون الافتئات على الشريعة وأصولها ومصادرها.

وأشار إلى أنّ تكوين الفقيه يتطلّب بناء شخصية علمية متوازنة، تجمع بين العُمق الشّرعي والوعي العصري، مبيّناً فضيلته أنّ هذا التطوير يقوم على أسس راسخة أبرزها: الرجوع إلى الأدلة الشّرعية الأساسية من القرآن الكريم والسّنة والإجماع والقياس والأدلة الأخرى، إضافة إلى مراعاة مقاصد الشريعة ومقاصد المكلّفين.

بدوره، أكّد مفتي الولايات الفيدرالية في ماليزيا، سماحة الشيخ فواز فاضل أهمية الاجتهاد الجماعي في ظلِّ المستجدات المُتسارعة والتطورات المعقّدة في مختلف جوانب الحياة، مبيّناً أن الحياة المعاصرة، بما فيها من تقدّم تكنولوجي واجتماعي، أفرزت مسائل شرعية جديدة لم تكن موجودة في العصور السابقة، مما يستدعي آليات دقيقة ومنهجية لضمان استنباط الأحكام بما يتوافق مع مقاصد الشريعة ويحفظ مصالح الأمة.
وقد ناقش الملتقى مسائل مهمّة مستجدّة في تدريس مادة الفقه الإسلامي، مستعرضاً معالم وضوابط محوريّة في تكوين الفقيه المعاصر.

وأصدر الملتقى في نهاية أعماله بياناً ختامياً؛ أشاد فيه المشاركون بما تُقدّمه المجامع الفقهية من نموذجٍ عصريٍّ رائدٍ في تنظيم الإجماع الفقهي، من خلال ضبْط مسار الاجتهاد الجماعي، وإسناده إلى نخبة من العلماء الذين جمعوا بين سَعة الفقه والخبرة العملية، والتمكّن الحاذق من أدوات النظر والاستنباط وأصوله، كما شهد البيان جملةً من التوصيات الكفيلة بضبط وتطوير مسار الدرس الفقهي الإسلامي وتكوين الفقيه، ومواجهة التحديات الفقهية المعاصرة.

كما شكر المشاركون في الملتقى رئاسة الوزراء في ماليزيا على رعايتها له، وأثنوا بالشكر على رابطة العالم الإسلامي، لجهودِها في إنجاح فكرة لقاء الفقهاء، ودعوا إلى تحويله إلى مناسبة دورية تنعقد في مختلف الدول الإسلامية؛ لتعميق أواصر العلاقة بين فقهاء المسلمين، وتسهيل تباحُثهم في الشؤون الشرعية والعلمية.

بعد اختتام أعمالهم في القمة الدولية بكوالالمبور

٤٠٠ عالـم وفقيـه إسلامـي يدينون مجـازر غزة.. ويؤيدون مشروع حل الدولتين

الرابطة - كوالالمبور

دعا قادة التنوع الديني العالمي الحكومات والقادة الدينيين حول العالم إلى إدانة حرب الإبادة والتجويع والدمار في غزّة، والتدخّل الفوري والعاجل بكل السبل والإمكانات لإيقاف هذه المجزرة، وممارسة الضغط على حكومة الاحتلال الإسرائيلي لوقف هذه الكارثة الإنسانية، مؤكدين أن هذه الفاجعة التي هزت الضمير الإنساني لم تكن لتحصل لو لم يكن هناك غياب لفعالية القانون الدولي والقانون الدولي الإنساني ومن ذلك تفعيل آليات المحاسبة الدولية.

جاء ذلك في ختام أعمال القمة الدولية الثانية للقيادات الدينية «دور القادة الدينيين في حل الصراعات» التي نظّمتها في العاصمة الماليزية كوالالمبور رئاسة الوزراء الماليزية بالتعاون مع رابطة العالم

الإسلامي، ودشنها دولة رئيس وزراء مملكة ماليزيا السيد أنور إبراهيم، صحبة معالي الأمين العام للرابطة، رئيس هيئة علماء المسلمين، فضيلة الشيخ محمد بن عبد الكريم العيسى، بحضور ومشاركة ٤٠٠ شخصيةٍ من كبرى القيادات الدينية حول العالم.

وحثّ القادة الدينيون في بيانهم المجتمع الدولي على الضغط على حكومة الاحتلال الإسرائيلي للالتزام بما تُمليه العهود والمواثيق الأممية والحقوقية، والعمل على إنهاء معاناة الشعب الفلسطيني، وضمان نيل حقوقه المشروعة، وإقامة دولته المستقلة وفقاً للقرارات الدولية ذات الصلة.

وشددوا، في هذا السياق، على تأييدهم للوثيقة الختامية للمؤتمر الدولي رفيع المستوى، لتسوية القضية الفلسطينية بالحلول السلميّة وتنفيذ حلّ الدّولَتين، على المستوى الوزاري، الذي رعتْهُ وأَسسْتْهُ المملكةُ العربية السعودية بالشراكة مع الجمهورية الفرنسيّة، في مقرّ الأُمم المتحدة بنيويورك، عازمينَ على تسخير كلّ نفوذهم الروحي والمجتمعي؛ لحشد التأييد والدعم السياسي والدبلوماسي للوثيقة في بلدانهم، وعلى مستوى المناطق التي يمتدّ تأثيرُهم إليها.

وأكد القادة الدينيون عزمهم الصادق على تقديم إطار أخلاقي يسهم في حلّ الصراعات المتلاحقة، التي أضعفت القيم الجامعة للإنسانية، وأجّجت أسباب الفرقة والكراهية.

وفي كلمته خلال الجلسة الافتتاحية للقمة، رحّب دولة رئيس الوزراء الماليزي، السيد أنور إبراهيم بالمشاركين في القمة من قيادات التنوع الديني العالمي، معربًا عن عميق امتنانه وتقديره لالتزامهم من أجل السلام والعدالة والإنسانية.

وشدّد رئيس الوزراء الماليزي على أنّ جميع الأديان تسعى إلى تعزيز الإنسانية، مضيفًا دولته: نعم، هناك اختلافات، فأنا مسلم، أمارس

د. العيسى: سلام عالمنا ليس مجرَّد خيار بل ضرورةٌ تتعلَّق بوجوده ومصداقية ميثاقه الدولي

الإسلام، لكنني أعلم أيضًا أننا في الإسلام نتحدّث عن ((رحمةً للعالمين))، أي الرحمة تجاه الجميع للحفاظ على التوازن والاعتدال المنصوص عليهما في ((أمة وسطاً))، وأعلم أيضاً معنى ((لتعارفوا)) الذي لا يعني التسامح فحسب، وإنما يدل على فهم أعمق للتعلّم واستيعاب طبيعة الاختلافات.

وأكّد على ضرورة اتحاد جميع أتباع الأديان ضد أولئك الذين يرفضون القيم الجامعة بين الإنسانية عموماً، داعياً جميع قادة التنوع الديني إلى أنْ يدافعوا عن جوهر الإنسانية.

وحذّر رئيس الوزراء الماليزي من خطورة نظريات الصدام والصراع، مثل نظرية «صدام الحضارات» التي تقول بحتمية الصدام، مبينًا أنّ الصدام في حقيقته صدامُ جهالات لا صدام حضارات.

وأكد أنّ الوضع في قطاع غزة مؤلم، مشيراً إلى أنّ الأزمة في القطاع أظهرت أنّ المجتمع الدولي فقد حماسته وشغفه بالعدالة والإنسانية، فطيلة الخمسين والستين عاماً الماضية كنّا نحارب الاستعمار واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان، لكن غزة مثال على ذلك، ففي كل يوم نشاهد قتل الأطفال، وقصف المنازل والناس، متسائلاً دولته: ماذا يُعلِّمنا الدين، وأين صوت الضمير الذي ينبع من إيماننا وقيمنا الأخلاقية؟

من جانبه، رحّب معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، الشيخ الدكتور محمد العيسى بالمشاركين في القمة، مؤكدًا أنها تنعقد في مرحلة استثنائية من تاريخنا المعاصر، تفاقمت فيها عديدٌ من المآسي والتحديات طالت نظامنا العالمي وشرعيته الدولية.

وشدّد معاليه على أنّ سلام عالمنا ليس مجرّد خيار، بل ضرورةٌ تتعلّق بوجوده ومصداقية ميثاقه الأممي، حيث آلت فيه شعوب الأمم المتحدة في السادس والعشرين من يونيو لعام ١٩٤٥م على أنفسها أنْ تنقذ الأجيال القادمة من ويلات الحرب، والتي خلال جيلٍ واحدٍ جلبت على الإنسانية مرتين أحزاناً يعجز عنها الوصف، كما آلت على أنفسها أنْ تحترم الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولي، وأن تعيش معًا في سلام وحُسن جِوار.

وأضاف: نجتمع ونحن ندرك الدور الحيوي للقادة الدينيين في التأثير على وجدان المؤمنين بالأديان حول العالم، وهم من يناهزون الثمانين بالمائة من سكان المعمورة، ولتأثيرهم الروحي أهمية بالغة في التحفيز على القيم والمبادئ الإنسانية الجامعة، وتحصين الأفكار من المؤثرات عليها بأيّ من مفاهيم التطرف والعنف والإرهاب ولا سيما بيئاتها التي تعيش فيها وتتغذّى عليها، وفي طليعتها مفاهيم: الكراهية والعنصرية والتمييز والإقصاء.

وأوضح العيسى أنّ القمة تأتي لوضع قيادات التنوع الديني أمام مصداقية دعوتهم للقيم الإنسانية الجامعة.

كما أوضح أنّ القمة تنعقد للتأكيد على أنّ المرجعيات الروحية ليست معنية بالوعظ المجرد فحسب، بل مطالبة بأن تكون طرفًا فاعلًا في صناعة السلام من خلال إرشاد أتباعها من موقعها الروحي إلى مركزية الكرامة الإنسانية وفق مبادئها الجامعة.

وشدّد معاليه على أنّ تلك المبادئ التي نؤمن بها ليست شعارات أو بيانات أو مناشدات نطلقها في مناسبات عابرة، بل هي عهدٌ دائمٌ يتجسّد في خطابنا، ويترجمه سلوكنا قولًا وعملًا، وتنهض به المؤسسات الروحية: «تعليمًا وتحفيزًا»، لتُثبت أنّ القيم الدينية الحقّة تَحْرس الفضيلة بمعانيها كافة.

وأشار إلى أنّ مواعظ التاريخ علّمتنا أنّ سلام عالمنا لا بدّ له من وعيٍ يُدرك أنّ الصدام والصراع لا يُوَلِّد إلا شراً يطال الجميع، وأنّ صانعيه وإنْ غرّهم في بادئ أمرهم بريقُ الانتصار غير أنّهم في نهاية مطافهم يعودون بخيبة أمل تورثهم وصمةَ عارٍ تُسَوِّدُ فصولَ تاريخهم كما هي قوة ونفاذ العدالة الإلهية وحكمتها البالغة.

وأعرب الأمين العام للرابطة عن القلق البالغ ممّا تشهده الساحة الدولية من حروب ونزاعات تهدد أمن العالم واستقرار مجتمعاته، مشيراً إلى أنّ ما يجري اليوم في قطاع غزة من إبادة ومجاعة أمام مرأى ومسمع المجتمع الدولي يُعتبر سابقة خطرة في مبادئ حقوق الإنسان لم يشهد عالمنا منذ صدور ميثاقه العالمي الأممي نظيراً لها، وهو، مع الأسف، ما يُشكك في مصداقية الشرعية الدولية جراء عدم الالتزام بميثاقه التضامني ومن ثَمّ تهديد تماسك أممه التي أعلنت اتحادها لنصرة القضايا العادلة التزاماً بميثاقها التاريخي.

وأكّد أن التجارب أثبتت أنّ لقيادات التنوع الديني أثرًا فاعلًا في ممارسة الدبلوماسية الدينية وهي الدبلوماسية الخلاقة، من خلال الحوار والوساطة والمصالحة، لما يملكونه من رصيدٍ مهم من منطلق مكانتهم الروحية، وهي التي تمكنهم من الإسهام بالتأثير في نزع فتيل الأزمات ولا سيما توعية أتباعهم بالسلوك الوقائي، مشدداً معاليه على أنّ هذه الأدوار ليست بديلاً عن المسارات السياسية، بل هي رافدٌ داعم لها.

ومن هذا المنطلق، أعلن معالي الأمين العام للرابطة عن مبادرتين، تمثّلت الأولى في تفعيل الدور الروحي والأخلاقي لقيادات التنوع الديني حول العالم للإسهام في دعم جهود الحلول السلمية للصراعات من منطلق

تأثيرهم الروحي في المجتمعات والشعوب المؤمنة بالأديان.

وفي هذا الصدد، أكد العيسى أنّ الرابطة ستعمل على استكمال رسم المبادرات الفرعية لهذه المبادرة المؤيدة والداعمة للجهود السلمية، مبيناً أنّ الرابطة شرعت في ذلك من خلال إحدى أهم ركائزها وهي مبادرة: «بناء جسور التفاهم والسلام بين الشرق والغرب» المستضافة من قبل الأمم المتحدة في نيويورك في الرابع عشر من يونيو لعام ٢٠٢٣م.

وتمثّلت المبادرة الثانية، بحسب ما أعلنه الأمين العام للرابطة، في حماية الأقليات في دول التنوع الديني والإثني والثقافي، بما يضمن حقوقهم وحرياتهم المشروعة وكرامتهم المستحقة نظراً لما تعانيه عديد من تلك الأقليات من التهميش ولاسيما صدور القوانين التي تستهدف هويتها الدينية، مع اقتراح برامج تعايشية وأطر تشريعية داعمة لهذه الأقليات في أوطانهم، ومن ذلك المعالجة الحكيمة للانحراف عن المبادئ المتحضرة لدساتيرهم الوطنية، وذلك من خلال ما يصدر من بعض القوانين المتطرفة.

وضمن أعمال القمة، أقيمت خمس جلسات علمية، ناقشت الأولى موضوع النزاعات ذات البعد الديني: تفكيك الأسباب ومعالجة المسارات، وبحثت الثانية محور دور قيادات التنوع الديني في التصدي لمظاهر العنف ودعوات الصراع، فيما استعرضت الثالثة موضوع الدبلوماسية الدينية والإسهام الداعم لجهود التسويات السلمية العادلة، وتناولت الجلسة الرابعة قضية تبادل الخبرات والتجارب الناجحة في إدارة التنوع الديني، فيما بحثت الخامسة موضوع «مأساة غزة: مرآة العجز الدولي وتزييف القيم الإنسانية.»

هذا وقد تضمن البيان الختامي للقمة تأييد مضامين الوثيقتين التاريّخيتين: (وثيقة مكة المكرمة) و(وثيقة بناء الجسور بين المذاهب الإسلامية)، الصادرتين عن رابطة العالم العالم الإسلامي بإجماع علماء المسلمين من قبلتهم الجامعة بمكة المكرمة وهما التي حظي مؤتمراهما الدوليان بالرعاية الكريمة من لدن خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز ـ أيده الله

ـ ؛ لما احتوتاه من مبادئ راسخة، وأسسٍ محورية لإرساء قيم التعايش والتسامح بين أتباع الأديان والثقافات، وتكريس خطاب حضاري واعٍ يجسّد ثقافة الاعتدال، ويتصدى لممارسات الظلم والصدام والكراهية المطلقة غير المبررة، ويدعو إلى توسيع آفاق التعارف والتعاون والإفادة على أرضية المشتركات الإنسانية والقيم النبيلة.

وأوصى المؤتمرون في بيانهم المشترك بتكوين لجنةٍ دائمةٍ للقمة، تضمّ ممثلين عن رئاسة الوزراء الماليزية ورابطة العالم الإسلامي، تتولى الإعداد المبكر لأعمال القمة الدولية الثالثة لقيادات التنوع الديني، ووضع خارطة طريق تستشرف سُبل تجاوز التحديات والمخاطر المحدقة بالمجتمعات الإنسانية من منظار روحي.
وتبنى المؤتمرون مبادرة رابطة العالم الإسلامي الهادفة إلى تفعيل الدور الروحي والأخلاقي لقيادات التنوع الديني، من خلال إسهامهم لدعم الحلول السلمية للصراعات، واستثمار تأثيرهم في المجتمعات والشعوب المؤمنة بالأديان.

كما تبنوا مبادرة الرابطة المتعلقة بحماية الأقليات في دول التنوع الديني والإثني والثقافي على التفصيل الموضح في كلمة معالي الأمين العام المشار إليها أعلاه.

وشكر المشاركون رئاسة الوزراء الماليزية ورابطة العالم الإسلامي على تعاونهما في إنجاح هذه القمة، مؤملين أن تنعقد القمة القادمة في ظروف دولية أفضل.

الأمين العام يختتم الملتقى العالمي للتصديق على الإجازات القرآنية، ويكرّم قُرّاء دُول «آسيان»

الرابطة - كوالالمبور

برعاية دولة رئيس الوزراء في مملكة ماليزيا السيد أنور إبراهيم اختتم معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس هيئة علماء المسلمين، فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، في العاصمة الماليزية «كوالالمبور»، أعمال «الملتقى العالمي للتصديق على الإجازات القرآنية وتكريم قُرّاء دُول «آسيان»»، بحضور الوزير برئاسة الوزراء الماليزية مسؤول الملف الديني في المملكة، معالي السيناتور الدكتور داتو سري محمد نعيم بن محمد مختار، ومعالي إمام وخطيب المسجد الحرام، رئيس مجمع الفقه الإسلامي الدولي، فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد، في سياق حضور معاليه لملتقى الفقهاء الأول، وعدد من كبار علماء دُول «آسيان»، وبمشاركة

نخبة من العلماء والمتخصّصين في علوم القرآن الكريم والإقراء، والآلاف من الحُفّاظ والحافظات للقرآن الكريم في دول جنوب شرق آسيا.

ويَهدف هذا الملتقى الأول من نوعه، والذي يأتي في سياق الجهود العالمية للرابطة في خدمة القرآن الكريم، إلى دراسة بعض الفَوَات في تدقيق بعض الإجازات القرآنية، ومعالجة عدد من حالات المنح لغير المُتقِنين والضابِطِين حيث تتضح الثغرات في هذا فور قراءاتهم المعلنة، جاء ذلك على إثر ضعف حَوْكَمة بعض الإجازات، كما يهدف الملتقى إلى تحقيق التعاون والتكامل بين المؤسّسات والمراكز المتخصّصة في مراجعة الإجازات والتصديق عليها، وتبادُل الخبرات فيما بينهم.

وفي كلمته خلال الحفل، أكّد معالي الأمين العام للرابطة، الشيخ د. محمد العيسى، أنّ الرابطة وهي تُطلق هذا الملتقى العالمي للتصديق على الإجازات القرآنية وتكريم قُرّاء دول «آسيان»، إنما تقوم بواجبها على ضوء رسالتها ومهامها الإسلامية.

وأوضح أنّ هذه الإجازة تَتْبعُها شهادة تصديق تُحقّق وتُدقّق، مبيّناً أنّ معاييرَ وكالة خدمة الكتاب والسنّة في الرابطة عاليةٌ، وتستمدّ دقّتها ومراجعاتها من المجلس العالمي لشيوخ الإقراء، الذي يُعتبَر أول مجلس من نوعه، ومن أعضائه كبار القُرّاء في العالم الإسلامي.

وشدّد معاليه على أنّ القرآن الكريم أنزله الله عز وجل للتدبّر والعمل مع أهمية حفظه يقول الله تعالى: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب»، لافتاً الأنظار إلى أنّ وكالة الكتاب والسنّة تَحرص على هذا الأمر، وتَعمل عليه من خلال اختيار علماء متخصصين للاضطلاع بمسؤولية تعليم القرآن الكريم بمعانيه كافة ولاسيما التحلي بآدابه.

من جانبه، أشاد الوزير برئاسة الوزراء الماليزية، معالي السيناتور الدكتور محمد نعيم بن مختار، بجهود الرابطة في إنجاح هذا الملتقى، مُعرِباً عن شُكره وامتنانه لأمانة الرابطة، نظيرَ التزامها بتعزيز أواصر الأخوّة بين ماليزيا والعالم الإسلامي، وسعْيها في دعْم وحدة الأمّة.

وأوضح أنّ أهمية هذا الملتقى تكمُن في الجمْع بين التراث الإسنادي القديم والمنهجيات التربوية المعاصرة، لنضمَن أنّ الطلاب لا يُتقِنون القرآن فحسب، بل يتحلّون بالأخلاق النبيلة والمسؤولية الاجتماعية.

كما ألقى معالي إمام وخطيب المسجد الحرام، فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد، كلمةً أعربَ فيها عن سعادته بهذا الجمع الكبير والبهيج من أبناء دول آسيا من حُفّاظ كتاب الله عزّ وجل، مبيّناً أنّ هذا ممّا يُفرح قلبَ كلّ مسلم، وهو مصداقٌ لقوله عزّ شأنه: ((إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون))، وأوصى معاليه حفّاظ القرآن الكريم بتمثّل كتاب الله عز وجل في حياتهم حتى يكونوا قُدوات.

وخلال الملتقى، دشّن معالي الأمين العام للرابطة، الشهادة العالميّة للتصديق على الإجازات القرآنية، بهدَف رفْع مستوى الاعتماد والموثوقية للإجازات القرآنية، وحِفْظ مكانة حَمَلَة كتاب الله تعالى عَبر منهجيةٍ دقيقةٍ وآليّةٍ محكمة.
وشهد معاليه مراسم منْح الشهادة في نُسختها الأُولى لعشرةٍ من الحُفّاظ المجازين الذين استوفَوا معايير المراجعة والتدقيق في أسانيدهم القرآنية.

كما شهد معالي الأمين العام، تكريم عددٍ من كبار قُرّاء القرآن الكريم في دول «آسيان»، تقديراً لدورهم الريادي في نشْر القرآن الكريم وتعليمه، وإسهاماتهم في بناء أجيال قرآنية راسخة على منهج الوسطية والاعتدال.

وشهد معاليه أيضاً، تخريج مجموعةٍ جديدة من الحُفّاظ والحافظات ممّن حصلوا على الإجازة القرآنية بالسّنَد المتّصل إلى أئمّة الإقراء من السّلف، عَبْر المَقرأة التقنية العالمية لرابطة العالم الإسلامي، والدفعة الجديدة من خرّيجي معهد تحفيظ القرآن والقراءات بالمؤسسة الإسلامية في ماليزيا التابع لرابطة العالم الإسلامي.

وخلال الحفل شاهَدَ الحضورُ عرضاً مرئياً عن إنجازات الرابطة ومبادراتها ومشاريعها لخدمة القرآن الكريم والسنّة النبوية.
كما شاهَدوا الفيلم الوثائقي «رحْلة مُجاز» الذي يوثّق

رحْلة أحَد حافظي كتاب الله منذ التحاقِه بالمقرأة التقنية العالمية إلى حصوله على الإجازة القرآنية وشهادة التصديق عليه.

وعقبها، أقيمَت جَلْستان علميّتان، بمشاركة عددٍ من كبار القُرّاء وقيادات مؤسّسات الإقراء حول العالم.

ثم صدَرَ عن الملتقى عددٌ من التوصيات المهمّة المتعلقة بموضوعه، بما في ذلك أهمية توثيق الإجازات القرآنية وفق ضوابط علمية دقيقة، وتعزيز مفهوم الإجازة لدى المقرئ والمجاز، وبيان المنهج الأمثل في منْح الإجازة.

الأمين العام للرابطة
يفتتح الاجتماع الثالث بمجلس علماء «آسيان»

الرابطة - كوالالمبور

افتتح معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي رئيس هيئة علماء المسلمين فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى الاجتماع الثالث لمجلس علماء آسيان الذي ينعقد في العاصمة الماليزية كوالالمبور تحت عنوان «الهوية الإسلامية وتعزيز المؤتلف الفكري»، برعاية دولة رئيس وزراء مملكة ماليزيا السيد أنور إبراهيم، وبحضور معالي نائبه أحمد زاهد بن حميدي، والوزير برئاسة الوزراء الماليزية معالي السيناتور الدكتور محمد نعيم بن مختار، وبمشاركة واسعة من علماء وفقهاء ومفتي دول منطقة جنوب شرق آسيا.

ويسعى الاجتماع إلى بلورة رؤية علمية تسهم في بناء خطاب إسلامي أصيل وموحد، وتعالج قضايا الهوية والانتماء، وتؤسس لثقافة الحوار بين المكونات

الإسلامية، بما يعزّز الأمن الفكري للأمة المسلمة في مواجهة محاولات التفريق التي تستهدف وحدتها الدينية والثقافية.

ورحّب نائب رئيس الوزراء الماليزي بالعلماء المشاركين في المؤتمر، مشيراً إلى أنّ الاجتماع ينعقد في وقتٍ يشهد فيه العالم تغيراتٍ غير مسبوقة، وهو ما يجعل مسؤولية العلماء أكبر في القيادة والتوجيه وبناء هذا العالم معاً.

وشدد على أنّ السلام ليس ترفاً، بل هو أساس التقدم، فبدون السلام، لا يمكن للاستثمار أن يتدفق، وبدون الاستقرار، لا يمكن للتنمية أن تدوم، وبدون الأمن، لا يمكن ضمان رفاهية شعوبنا.

وجدّد التأكيد على التزام ماليزيا الراسخ بالنضال المشروع للشعب الفلسطيني، مشدداً على أنّ الدفاع عن فلسطين ليس واجب أمة واحدة، بل مسؤولية

د. العيسى:
القضايا الكبرى لا بدَّ فيها من وحدة الرأي العلمائي لأنَّ الاختلاف فيها نزاع وشقاق

البشرية جمعاء، وما دام الظلم قائماً، يجب علينا دائماً أنْ نواصل الكلام والفعل والوقوف بحزم مع شعب فلسطين.

كما شدد نائب رئيس الوزراء الماليزي على مسؤولية العلماء في مواجهة أصوات الكراهية والانقسام، والتصدي لها بالحكمة، مؤكداً على أنّ الاستفزاز يُؤجج العداء، لكن الإيمان الحقيقي يُوسّع آفاق السلام.

من جانبه، أوضح معالي الأمين العام للرابطة الشيخ محمد العيسى في كلمته أنّ «مجلس علماء آسيان» توخى في طليعة أولوياته أنْ يجمع كلمة علماء الأمة

أحمد زاهد:
على العلماء مسؤولية كبيرة في القيادة والتوجيه وبناء العالم معاً

الإسلامية في إطار آسيان، لأنّ هناك عدداً من المجالس حول العالم تمّ النظر إلى التقارب الجغرافي فيها فتنوعت، مبيناً أن هذه المجالس تجتمع جميعاً في المجمع الفقهي الإسلامي وفي هيئة علماء المسلمين.
وأشاد العيسى بحرص رئيس الوزراء الماليزي ونائبه على وحدة كلمة علماء الأمة الإسلامية في سياق وحدة الأمة الإسلامية وذلك في القضايا الكبرى التي لا بد فيها من وحدة رأي إسلامي علمائي، لأنّ الاختلاف فيها نزاع وشقاق، لافتاً إلى أنه من هذا المنطلق جاءت هذه المجالس.

وتطرّق معاليه إلى التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، وفي طليعتها المفاهيم الخاطئة المثارة حول الإسلام والتي أنتجت ما يُسمّى بظاهرة الإسلاموفوبيا، مبيناً معاليه أنّ لهذه الظاهرة أسباباً كثيرة تصدّت لها الرابطة تشخيصاً وتحليلاً، اضطلاعاً بمسؤوليتها في مواجهتها بأدب الإسلام العالي وحكمته البالغة.

وأوضح أنّ الرابطة تعمل دوماً على مواجهة هذه الظاهرة من خلال عدد من البرامج التي أعدّتها حول العالم ولا سيما الحوارات مع الشرق والغرب ولا سيما (بشأن) التطرف والعنف، وأنّ هذا لا يمثل الإسلام، وإنما يمثل من اقتنع بفكره ومارس مجازفاته وأنّ الإسلام بريء من ذلك كله.

وأكد أنّ على العلماء مسؤولية، كلٌ في مكانه، ولهذا تنوّعت مجالسُ العلماء ليضطلع كلّ مجلس بما يجب عليه في نطاقه الجغرافي، فهناك مفاهيم خاطئة، وممارسات للإسلاموفوبيا في نطاقات جغرافية معينة، وهناك أيضاً استفسارات وقضايا تهم النطاق الجغرافي، فجاءت هذه المجالس لتؤدي هدفها الذي أنشئت من أجله.

وكشف معاليه أنه على ضوء هذه الأسباب قامت الرابطة بجمع كلمة علماء الأمة الاسلامية في قمتين إسلاميتين لعلماء الأمة، وكانت كل منهما برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود يحفظه الله.

وأشار معاليه في هذا الصدد إلى «وثيقة مكة المكرمة»، هذه الوثيقة التي أمضاها أكثر من ١٢٠٠ مفت وعالم وأكثر من ٤٥٠٠ مفكر إسلامي، وكانت ديباجتها تشير إلى أنها تستلهم مضامينها من «وثيقة المدينة المنورة» التي أمضاها نبيّنا محمّدٌ صلّى الله عليه وسلّم مع التنوع الديني في ذلك الوقت.

وأضاف أنّ وثيقة مكة المكرمة أوضحت عديداً من القضايا في سياقنا المعاصر، فتحدثت عن التنوع وعن بناء الجسور بين المذاهب الإسلامية، وأيضاً عن التفاهم والبناء الحضاري، وتحدّثت عن مخاطر صدام

وصراع الحضارات وتحدثت عن البيئة وحقوق المرأة، وعن الشباب وعن التربية وعن الطفل وتحدّثت عن أمور كثيرة، مشيراً إلى أنه لأهمية هذه الوثيقة، اعتمدتها دول منظمة التعاون الإسلامي، وهي أول وثيقة خارج وثائق المنظمة يتم اعتمادها للعمل بها استرشادياً في المؤسسات التعليمية والدينية والثقافية في الدول الإسلامية.

كما تطرّق معاليه إلى «وثيقة بناء الجسور بين المذاهب الإسلامية» التي جاءت لتجسّر العمل بين علماء الأمة الإسلامية بمختلف مذاهبهم، وهي متممة وعلى ضوء وثيقة مكة المكرمة.

بدوره، أكد الوزير برئاسة الوزراء الماليزية معالي السيناتور الدكتور محمد نعيم بن مختار أن هذا المؤتمر يحمل أهمية كبيرة في تعزيز الوحدة والتعاون الحقيقي نحو تحقيق أهداف الأمة، والسعي إلى السلام والوئام العالمي.
وأعرب عن شكره لمعالي الأمين العام للرابطة على تعاونه مع حكومة ماليزيا في تنظيم هذا البرنامج، لافتاً إلى أن تنظيم هذا الحدث يعد استمرارا لبرنامج ملتقى علماء جنوب شرق آسيا الذي ينظم بالتعاون مع الرابطة في ماليزيا منذ عام ٢٠٢٢.

وأكد أنّ مشاركة علماء آسيان وحضورهم لهذا المؤتمر تجسد روح الوحدة العلمية والأخوة الإسلامية التي تتجاوز حدود العرق والثقافة واللون، مشدداً على أنّ الوحدة تعد مصدراً من مصادر القوة في المجتمع، فبدون الوحدة يضعف المجتمع ويخسر قوته، لذلك لا بد من السعي الجاد لإقامة الوحدة والحفاظ عليها في حياة المسلمين والمجتمع العالمي ككل.

وعقدت في إطار المؤتمر ثلاث جلسات علمية، تناولت الأولى «الهوية الإسلامية الجامعة والمؤتلف الفكري»، وناقشت الثانية «مجالات الفهم الوسطي للإسلام»، فيما بحثت الثالثة «أدب الخلاف واحترام الخصوصيات».

من كوالالمبور..

الهويّة توحِّد الفكر

وثيقة مكة المكرمة

٩. سن التشريعات الرادعة لمروجي الكراهية، والمحرضين على العنف والإرهاب والصدام الحضاري: كفيل بتجفيف مسببات الصراع الديني والإثني.

١٠. المسلمون أثروا الحضارة الإنسانية بتجربة فريدة ثرية، وهم اليوم قادرون على رفدها بكثير من الإسهامات الإيجابية التي تحتاجها البشرية في الأزمات الأخلاقية والاجتماعية والبيئية التي تعاني منها في ظل الانعدام القيميِّ الذي أفرزته سلبيات العولمة.

د/ عبدالله نصيف في ذمة الله

د. محمد تاج العروسي - مكة المكرمة

توفي إلى رحمة الله تعالى، صباح يوم الأحد الموافق العشرين من ربيع الآخر لعام ١٤٤٧هـ، معالي الدكتور عبد الله عمر نصيف، عن عمر ناهز ٨٦ عامًا، بعد مسيرة حافلة بالعطاء والإنجازات في مجال التعليم والدعوة والحوار والإغاثة الإنسانية الإفريقية والآسيوية.

ينتمي الدكتور عبد الله نصيف إلى آل نصيف في جدة، وهي عائلة من أعرق أعلام الحجاز، لها سجل طويل في إشاعة العلم ومحاربة البدع والخرافات، وطباعة الكتب وتوزيعها بالمجان، والاهتمام بطلبة العلم ورعاية شؤونهم، والتواصل مع رجالات الفكر، والإنفاق على أوجه الخير؛ فجده الأعلى عمر بن عبد الله بن أبو بكر الشهير بـ«عمر أفندي نصيف»، شهدَ له العلماءُ بالفضل والكرم. وجده والد أبيه الشيخ محمد حسين نصيف أحد أبرز أعلام الحجاز ورجل خير وكرم، كان داره مفتوحا للعلماء والأدباء والمفكرين وزوار بيت الله الحرام على مدار السنة، وعرف بطباعة الكتب الدينية، وتوزيعها على طلبة العلم والمكتبات في العالم، وبجمع المخطوطات النادرة وإيداعها في المكتبات حتى يستفيد منها الطلاب، وفي ضيافته نزَلَ الملك عبد العزيز مؤسس المملكة العربية السعودية بعُيد دخوله الحجاز، واستقبله بحفاوة، وبايعه العلماء والأعيان وأهل الرأي والشورى.

في هذه البيئة نشأ حفيده عبد الله نصيف، وكان يساعد جده في خدمة الضيوف باختلاف منازلهم ومراتبهم وتوجهاتهم، من السياسيين، والمفكرين ورجال العلم والدعوة، والأدباء والشعراء. كما تربى على مجالسة أهل العلم، وتقديم الدعم لطلاب العلم الذين يترددون على مكتبة جده للاطلاع على الكتب والمراجع المختلفة، والمخطوطات النادرة، كل ذلك كان وراء نجاحه في حياته اليومية، وفي تعامله مع الناس على اختلاف طبقاتهم ومكانتهم الدينية والسياسية والاجتماعية، فنال القبول من الجميع، وترك بصمة في ذاكرة الكثيرين في البلدان التي زارها، رحمه الله رحمة واسعة، وجعل ذلك في ميزان حسناته.

اهتمام الوالدة بتربيته

حظي الدكتور عبد الله نصيف رحمه الله تعالى بعناية ورعاية والدته السيدة صديقة شرف الدين رحمها الله وإشرافها المباشر على تربيته بعد وفاة والده عنه في صغره، وكانت تتابع لما يدرسه بالمدرسة إلى جانب تعليمه الأمور الضرورية من نظام الحياة؛ إيمانا منها بأن من واجب كلّ أمّ أن تهتم بتربية أبنائها على المنهج السليم، وأن ذلك جزء من رسالة الأم وواجباتها. وعملا منها بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...». ومن الطبيعي إذاً أن تكون تنشئته متميزة، وتربيته فريدة، وأخلاقه عظيمة، فقد كان بارا بوالدته ووفيا بحقوقها كذلك على خير وجه.

حياته العلمية

تلقى تعليمه بمدارس جدة حتى نهاية المرحلة الثانوية، وحصل على بكالوريوس العلوم في الكيمياء من جامعة الملك سعود، والدكتوراه من جامعة ليدز في بريطانيا، ودرّس في جامعة الملك سعود في الرياض، وجامعة الملك عبد العزيز في جدّة، وتدرّج في الرتب الأكاديمية حتى حصل على مرتبة الأستاذية، ثم أصبح أمينًا عامًا للجامعة، فوكيلاً لها لفترة، ثم عُيّن مديرًا للجامعة.

اضطلع الدكتور عبد الله بتطوير الجامعة في المجالات المختلفة، بدأها ببناء عدد من المباني للكليات الجديدة وفتح أقساماً مختلفة في كل كلية، وبمراجعة المنهج الدراسي الجامعي، والتعاقد مع نخبة من العقول الإسلامية من الداخل والخارج، وإنشاء مكتبة كبيرة، إلى جانب اهتمامه بتعيين الكوادر الإدارية، وإرسال عدد من المعيدين إلى الخارج للدراسات العليا بالجامعات الأوروبية، وإقامة دورات على مختلف المستويات لرفع مستوى العاملين بالجامعة، وتوقيع الاتفاقيات مع عدد من الجامعات في أمريكا لإنشاء كلية الطب وتطويرها، والإشراف على المستشفيات الجامعية، وتطوير المناهج والمتطلبات، وتطوير الحرم الجامعي، وغير ذلك. وفي مجال الهندسة والعمارة وتصاميم البيئة أنشأ صلات بالجامعات الأمريكية الموجودة داخل أمريكا وخارجها، كما وسع العلاقات لتشمل الجامعات الألمانية والإيطالية والبريطانية، والموجودة كذلك في اليابان وسنغافورة، وماليزيا.

ثم صدر قرار بتعيينه أمينًا عامًا لرابطة العالم الإسلامي، وفي السنوات العشر التي قضاها في الرابطة وسّع أنشطتها كي تساهم في خدمة المسلمين في

المجالات المتعددة، إلى جانب مشاركته في معظم المحافل الدولية مدافعًا عن القضايا التي تهم الأمة الإسلامية، ومبينًا موقف الإسلام في الموضوعات التي تطرح أمام المجالس، وخاصة في هيئة الأمم المتحدة، وبذل جهدًا كبيرًا لدراسة أوضاع الأقليات الإسلامية. وأُنجز في عهده إنشاء عدد من مكاتب الرابطة في الخارج، إضافة إلى المكاتب الموجودة قبل ذلك، ففتحت مكاتب في كل من لندن، وباريس، وبروكسل، وروما، ونيويورك، وواشنطن، وسدني، وبعض البلدان الإفريقية وآسيا.

ثم عيّن بقرار ملكي نائبًا لرئيس مجلس الشورى الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير، رحمه الله، فأسهم في تطوير المجلس وتوسيع مجالاته، خاصة فيما يتعلق باللوائح والأنظمة الداخلية، حيث كان يتمتع بخبرة طويلة في مجال الإدارة، وكان يحظى بمكانة خاصة لدى الرئيس، فلذا كان يطلب منه اقتراح الأساليب والوسائل التي ترفع مستوى الأداء في المجلس لتحقيق الأهداف العامة والخاصة، كما يكلفه بمهام الدراسات والأبحاث إلى جانب تفويضه بتولي إدارة شؤون الأعضاء، والعلاقات العامة، والندوات والمؤتمرات، وإدارة المتابعة والتطوير، وفَوّضَهُ كذلك بمباشرة الصلاحيات الإدارية المخولة للرئيس بمقتضى النظم والقرارات بالنسبة للموظفين من المرتبة العاشرة فما دون، والمستخدمين، والعمال الخاضعين لإشرافه في الإدارة، والأجهزة المرتبطة بمعاليه مباشرة، وإصدار القرارات اللازمة لذلك، كما أعطى له المجال في تفويض بعض صلاحياته المفوضة له إلى الموظفين شاغلي المراتب العليا الخاضعين لإشرافه مباشرة. وفي الفترة التي قضاها بالمجلس -تسع سنوات- أقر المجلس العديد من الأنظمة «الاقتصادية والسياسية والاتفاقيات بين الدول من النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية».

مناصب أخرى

تولى الدكتور عبد الله نصيف كذلك مناصب أخرى، منها: نائب رئيس لجنة الحوار الوطني السعودي لمدة عشر سنوات، ورئيس مجلس هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، ورئيس مؤتمر العالم الإسلامي، ثم الأمين العام للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، ثم انتخب رئيسا للاتحاد العالمي للكشاف المسلم في المؤتمر الإسلامي الرابع الذي عقد في إسلام آباد بباكستان عام ١٤١٢هـ. وشارك في عدد من المخيمات والمؤتمرات الكشفية العربية والإسلامية والعالمية، ككشّاف، ثم كقائد كشفي، مثل: المؤتمر الكشفي

نال جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام عام ١٤١١، وأسهم في إنشاء عدد من الجامعات والمراكز الإسلامية، ورأس لجنة الحوار الوطني السعودي لمدة ١٠ سنوات

العالمي الجامبوري الحادي عشر الذي عقد في اليونان عام ١٩٦٣م، والمؤتمرات الكشفية العلمية، ابتداء من المؤتمر الذي عقد في نيروبي بكينيا عام ١٩٧٣م. وتقلد عددًا من الأوسمة والميداليات الكشفية، منها على سبيل المثال: قلادة الكشاف العربي عام ١٩٨١م، ووسام الذئب البرونزي عام ١٩٨٧م من الهيئة الكشفية العالمية، ووسام الصقر الفضي من اتحاد الكشافة في اليونان عام ٩٨٣١م، ووسام الاتحاد العربي، ودرع الاتحاد العربي، والقلادة الذهبية لجمعية الكشافة العربية السعودية عام ١٤٢٦هـ، وشهادة انضمام للكشافة العالمية لـ«بادن باول» تقديرًا لجهوده المتواصلة على مدار العمر لتطوير هذا العمل، وتفانيه في خدمة المجتمع الإسلامي عامة وشباب الأمة الإسلامية على وجه الخصوص، ودفعًا لغيره في سلوكهم هذا المسلك الجميل والسير في نهجه.

جهوده المختلفة خارج المملكة

في الفترة التي كان مبتعثًا لإكمال الدراسة في الخارج تصدى لأنشطة مختلفة، منها: تأسيس جمعية الطلبة المسلمين في جامعة ستانفورد، واتحاد الطلبة المسلمين M.S.A في الساحل الغربي للولايات المتحدة الأمريكية، وجمعية الطلبة المسلمين في جامعة ليدز، وجمعية الطلبة في بريطانيا وأيرلندا، وشارك في المؤتمرات السنوية لاتحاد جمعيات الطلبة المسلمين في بريطانيا وأيرلندا، وفي عدد من الندوات التي عقدت لبيان محاسن الإسلام، في الكنائس والمدارس والجمعيات في بريطانيا في الفترة ما بين عامي ١٩٦٨- ١٩٧٠م.

وفي الفترة التي كان فيها أميناً عاماً للرابطة أسهم في إنشاء عدد من الجامعات والمعاهد والمراكز

الإسلامية منها: الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد بباكستان، بالتنسيق مع الرئيس الراحل الجنرال ضياء الحق رحمه الله تعالى، وجامعة المشرق والمغرب East West University التي تهتم بتوفير التعليم الجامعي للأقليات في أمريكا، ومنهم الجالية الإسلامية بدعم مادي، بحيث تقدم الجامعة منحة في تخصصات علمية، مثل: الهندسة، والكمبيوتر، والتربية، والإدارة، إضافة إلى قسم الدراسات الإسلامية، وجامعة دار السلام بنيومكسيكو، والكلية الإسلامية الأمريكية في شيكاغو، والأكاديمية الملكية المغربية، والأكاديمية الإسلامية في كامبردج بالمملكة المتحدة، ومعهد الدراسات الاجتماعية في لندن، وهيئة التراث الإسلامي والبيئي في لندن، ومركز الدراسات الإسلامية بأكسفورد، والمركز العالمي للتجديد والترشيد في بريطانيا. وترأس عددا من مجالس أمناء الجامعات والمراكز والمعاهد الإسلامية، منها: مجلس الأمناء للجامعة الإسلامية العالمية شيتا غونغ في بنجلاديش، والجامعة الإسلامية في أوغندا، وجامعة دار الإحسان في بنجلاديش، والجامعة الإسلامية في النيجر، والمركز الثقافي الإسلامي في جنيف، والمركز الإسلامي في سدني، ومعهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في جامعة فرانكفورت بألمانيا.

وشارك معاليه في فعاليات الهيئة الدولية لمكافحة المخدرات والمسكرات والتدخين، والمؤتمر الأول لشؤون الأقليات المسلمة في العالم في شيكاغو عام ١٩٧٨م، والاجتماع التأسيسي لإنشاء منظمة الدعوة الإسلامية في السودان، عام ١٩٨٠م، والمؤتمر الأول للاقتصاد الإسلامي المنعقد بمكة المكرمة عام ١٩٧٦م، والمجلس التأسيسي لفكرة إنشاء البنك الإسلامي السوداني والاجتماعات المتتالية حتى تكوّن أول بنك إسلامي في السودان، ولجنة التحضير لمؤتمر القمة الإسلامي الثالث في مكة والطائف، والمؤتمر الثاني للتعليم الإسلامي في إسلام آباد ١٩٨٠م، والمؤتمر الثالث للتعليم في دكا ببنجلاديش عام ١٩٨١م، والمؤتمر الرابع للتعليم في جاكرتا بإندونيسيا عام ١٩٨٢م، والمؤتمر التعليمي الإسلامي الخامس في القاهرة ١٩٥٨م.

له موقف تاريخي من قضية المسجد البابري في الهند، وجهود طيبة في معالجة قضية جامو وكشمير، ومسلمي سريلانكا، وبورما، وكذلك مسلمي الصين الشعبية.

شارك في الحوار العالمي للتقريب بين أصحاب الأديان السماوية، وفي الندوات التي عُقدت في عدد من المدن الأوروبية، منها: باريس، والفاتيكان، ومدريد، وقابل الحبر الأكبر البابا يوحنا بوليس الثاني، وتم الاتفاق بينهما على مواصلة الحوار بين أتباع الدين الإسلامي والمسيحي.

حصوله على جوائز دولية ومحلية

نال عدة أوسمة وجوائز رفيعة، أبرزها: جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام عام ١٤١١هـ، ووسام الملك عبد العزيز من الدرجة الأولى عام ١٤٢٤هـ، ووسام الذئب البرونزي من اللجنة الكشفية العالمية، وهو أعلى وسام كشفي عالمي يُمنح للقادة الذين قدموا خدمات جليلة للحركة الكشفية عالمياً، في اعتراف دولي بإنجازاته. إضافة إلى شهادات الدكتوراه الفخرية من جامعات في آسيا وإفريقيا وأوروبا لنشاطه المتواصل في المجال الدعوي والإغاثي، وفي مقدمته مشروع سَنابل الخير لتخفيف وطأة الفقر على فقراء المسلمين في كل مكان.

وقد تحدث عنه الكثيرون شعراً ونثراً، وبينوا فضائله ومحاسنه وجميل إحسانه وحسن تعامله مع الجميع، وقد عبّر الشاعر يحيى أحمد مطهر عن تلكم الصفات الجميلة بقوله:

ألفنا الخير في يمناك يجري
فيأخذ سعده منك الكئيب
تواسي ذي الهموم بكل صدق
وأنت البر في الجلى قريب
زرعت الحب في الوجدان منا
وأنت الحب تحضنك القلوب
تعلمنا الوفاء وأنت نبع
سخي فائض جود خصيب
ويعرف فيك جل الناس فضلا
وعطفا كالنسيم له هبوب
أبيّ النفس محمود السجايا
كريم النفس للعطشى قليب
مشيت بدعوة القرآن شرقا
وغربا ما فتئت بها تجوب

رحم الله فقيد الأمة الإسلامية رحمة واسعة، وتغمّده بواسع رحمته، وأدخله فسيح جناته بفضله وكرمه.

حاشية على ملتقى الفقهاء الأول بماليزيا

الفقيــه المعاصر: المهَـنيّة والمسؤوليّة

د. أحمد عبد القيوم - مكة المكرمة

امتنّ الله تعالى علينا بنعمة الإسلام، وأودعَ فيه خاصيّةَ الشمول والاتّساع لكلّ ما يحتاجه الإنسانُ من مسائلَ وأحكامٍ، كما قال تعالى: ﴿اليومَ أكمَلتُ لكمْ دينَكم وأتممتُ عليكم نِعمتي ورضيتُ لكم الإسلامَ ديناً﴾.

وإنّ من أبرز معالم اكتمال هذا الدّين العظيم: نظام شريعتِه الأصيل، القائم على نصوصِ الكتابِ والسّنّة، والمستنير بأفهامِ علماء الأمّة واجتهاداتهم الفقهيّة المحْكَمة، القائمة على الأصول الكلّية والقواعد العامّة، في ضوء مقاصد الشريعة وثوابت الدين.

وقد أسهَم الاجتهادُ الفقهيّ الرصين في بناءِ منظومةٍ علميّةٍ ثريّة، وصياغةٍ فكرية راسخةٍ ومتينة، تجلّى في الفقه الإسلامي بمذاهبه المُعتبرة، وما انطوى عليه هذا التراثُ الفقهي العظيم من أحكامٍ عامّةٍ وخاصّة، ومسائل مُجمَلةٍ ومفصّلة، بيّنت حدودَ الله تعالى، ورسمَت معالِمَ شريعتِه السمحة، في انسجامٍ مع الفطرة السليمة، واستجابةٍ لحاجات الإنسان الروحيّة والماديّة،

وتحقيق مصالحه الدينيّة والدنيوية، على أُسُس من السماحة والوسطية، التي تَجعلُها تعاليمَ قابلةً للفهم والتطبيق، بعيدةً عن الإفراط والتفريط.

وهو فقهٌ شاملٌ لجوانب الحياة كلّها: في العبادات والمعاملات، والأخلاق والسلوك، والحدود والجنايات، وما يتصل بها من ضروريات وحاجيات وتحسينيّات؛ تحقيقًا للمصالح، ودفعًا للمفاسد، وتجسيدًا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ونزّلْنا عليكَ الكتابَ تِبياناً لِكُلّ شَيْءٍ﴾، فلمْ يترك صغيرةً ولا كبيرةً من شؤون الإنسان إلاّ أحاط بها ضبْطاً وتوجيهاً؛ حتى قال أحدهم: «إن في الفقه الإسلامي ما يكفي المسلمين في تشريعهم المدَني، إنْ لمْ نَقُل إنّ فيه ما يكفي الإنسانية كلّها».

ولهذا فإن الفقه الإسلامي يعدّ من مفاخر الأمّة الإسلامية؛ حتى قال الحَجوي: «إنّ الأمّة الإسلامية لا حياة لها بدون الفقه، ولا رابطة ولا جامعة تَجمعُها سوى رابطة الفقه وعقائد الإسلام، فهي دائمة بدوام الفقه، مضمحلّة باضمحلاله، فمهما وُجِد أهل الفقه واتبعوه كانت الأمّة الإسلامية، ومهما انعدم الفقهُ والفقهاء لمْ يبق للأمّة اسم الإسلام».

وما كان للفقه الإسلامي أن يبلُغ ما بلغَه من شمول واتّساع، وقُدرة على التجديد والإبداع، لولا أنّ الله هيّأ له رجالاً نذروا أنفسهم لخدمته، وكرّسوا أعمارهم في تحصيله، وإتقان علومه واستيعاب مسائله؛ بعقولٍ نيّرة، وملكاتٍ فقهيةٍ راسخة، ورؤًى حكيمةٍ ثاقبة، ونيات خالصة وصادقة، جعلَت من الفقه الإسلامي صرحًا شامخاً؛ يزدادُ على مرّ العصور قوةً وبهاءً.

هؤلاء الفقهاء الكرام مهّدَ الله بهم قواعدَ الإسلام، وأوضحَ بهم مُشكِلات الأحكام، جعَلَ اتفاقَهم حُجةً قاطعة، واختلافَهم رحمةً واسعة، حملوا أمانة العلم بجدارةٍ واستحقاق، وأسهموا في توجيه المجتمعات من خلال وظائف التدريس والتأليف والإفتاء والقضاء، فكانوا حلقة الوصل بين نصوص الشريعة وحاجات الناس، وشكّلوا ركناً أصيلاً في ترسيخ العدل، وتحقيق المصالح، وصيانة مقاصدِ الدين، حتى غدوا نماذجَ يُحتذى بها في الجمع بين العلم والعمل، والفقه والتنزيل. فسُبحان مَن منّ على الخَلق بالعُلماء الفقهاء، الذين فهِموا مقصودَ الأمر، و«مراد الشارع، وفهموا الحِكمة في كلّ واقع، وفتاواهم تُميّز العاصي من الطائع»، فهُم حفظةُ الشريعة وحُرّاسها، ومَرجع الأمّة ورُبّانها، فأحسَنَ الله جزاءهم وأجزل مثوبتهم.

يقول الإمام ابن القيم في بيان فضلهم ومكانتهم: «فقهاء الإسلام، ومَن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام، الذين خُصّوا باستنباط الأحكام، وعُنُوا بضبْط قواعد الحلال والحرام، فهم في الأرض بمنزلة النّجوم في السماء، بهم يَهتدي الحَيران في الظّلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفْرَض عليهم من طاعة الأمّهات والآباء بنص الكتاب...». (أعلام الموقّعين)

إن الفقهاء هم العلماء الراسخون في علوم الشريعة، المُدْركون بوقائع الحياة ومستجدّاتها، يبيّنون للأمّة أحكامَ دينها، ويَجتهدون في معالجة نوازلها، ويَسعون في إرشادها إلى ما يُرضي الله تعالى وما يريده من عباده، مستضيئين بنور الوحي، مهتدين بهَديه، عامِلين على تحقيق مقاصده في إصلاح البلاد والعباد، وإرشاد الناس إلى ما تستقيم به حياتهم، وتنتظم به مصالحهم.

وهذا يقتضي أن يكون الفقيه بصيراً بأحوال الناس وواقعهم، مستحضراً لتحدّياتِ عصرهِم ومتطلّباته زماناً ومكاناً، قادراً على التعامل معهم وفهْم قضاياهم، معتدلاً في مسالك الأجوبة، جامعاً بين الغَيرة على الحقّ وبين الرِّفق بالخَلق، وسطاً بين التساهل المُوْردِ للمُشتبهات، وبين التشدّد المُوقِع في الإعنات، ناظراً إلى استفتاءات الناس نظرةً متصلة بظروفهم، وما يحيط بها من ملابسات ثقافية واجتماعية، حكيماً في الأجوبة يضعها في مواضعها، ويراعي تَبعاتها وآثارها، مُدركاً أن الفتوى قد تتغيّر بتغير الزمان والمكان والأحوال والأعراف والعادات، مُلمّاً بفقه المقاصد والمآلات، ضابطاً للتوازنات والأولويّات، مُنْتبهاً

للفروق والتشابُهات، محافظاً على الثوابت ومنسجماً مع المتغيرات، يَستشرف بنظرة تفاؤلية غداً واعداً ويترقّبُ مستقبلاً زاهراً؛ تُحفَظ فيه للوطن المقدّرات والمكتسبَات، وينعم فيه الإنسان بالرخاء والخيرات.

يقول الخطيب البغدادي: «الفقيه يحتاج أن يتعلق بطرف من معرفة كل شيء من أمور الدنيا والآخرة، وإلى معرفة الجِدّ والهزل، والخلاف والضدّ، والنفع والضّر، وأمور الناس الجارية بينهم، والعادات المعروفة منهم».

وأما الفقيه الذي لا يَفهم المعارف الإنسانية والواقع ولا يراعيها في اجتهاده فيصفه الإمام ابن القيم بأنه: «يُفسد أكثر مما يُصلح، وقد يُتصور له الظالم بصورة المظلوم وعكسه، والمُحِقّ بصورة المُبطل وعكسه، ويروّج عليه المكر والخداع والاحتيال، ويصوّر له الكاذب في صورة الصادق، وهو لجَهله بالناس وأحوالهم، وعوائدهم، وعرفياتهم، لا يميّز هذا من هذا، بل ينبغي له أن يكون فقيهًا في معرفة مكْر الناس، وخداعهم، واحتيالهم، وعوائدهم، وعُرفياتهم».

إن التكوين العلمي الصحيح للفقيه الناجح يحقّقه التمسّك بالمَرجعية الشرعية المعتبرَة من القرآن الكريم والسنّة المطهّرة وإجماع الأمة، والإفادة من آراء الفقهاء، والوقوف على أسباب الاختلاف، وتحرير محلّ النزاع، مع التحلّي بحُسن الفهم ودقة النظر، وقوّة الإدراك وسلامة المنهج، مع تحقّق الخشية والورع والخوف من الله تعالى والاستقامة على الدين؛ كما قال الحسن البصري: «إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير بأمر دينه، المداوم على عبادة ربّه». (الدارمي ١/٣٣٧).

وقال الفضيل بن عياض: «إنّما الفقيه الذي أنطقَتْه الخشية، وأسكَتته الخشية، إن قال قال بالكتاب والسنّة، وإن سكتَ سكَتَ بالكتاب والسّنّة، وإن اشتبَه عليه شيءٌ وقفَ عنده وردّه إلى عالِمه».

وقال الحارث بن يعقوب: «إن الفقيه كلّ الفقه مَن فَقِه في القرآن، وعَرفَ مكِيدة الشيطان».

وقال علي بن أبي طالب: «الفقيه حقّ الفقيه: مَن لمْ يقنِّط الناس من رحمة الله، ولَمْ يرخّص لهم في معاصي الله، ولمْ يؤمّنهم من عذاب الله».

فضلاً عن اتّصافه بالحكمة في الموازنة بين المصالح والمفاسد، ومراعاة المآلات والعواقب، واستحضار الوعْي السّنَني وفقْه الواقع، وامتلاكه الأهليّة العلمية الراسخة التي تُمكّنه من الاستنباط الراشد، والاستدلال المنضبط، والترجيح المعتبر؛ ليكون أهلاً لحمل هذه الأمانة الشرعية، وأداء وظيفته في ضوء النصوص ومقاصد الشريعة وروحها.

يقول الدكتور يوسف حميتو: «الفقه صناعة، بل مِن أبدع الصنائع، وكلّ صناعةٍ لها مبادئُها وأُسسها التي تقوم عليها، وذرائعُها التي تَرتقي بها، والشرط الأساس لتحقيق الملَكة فيه: رغبةٌ ذاتية أكيدة، وفطرةٌ صافية، وقريحةٌ مبدِعة؛ إن أُهمِلَت تبلّدَت، وإن استُغلّت بما يقوّيها وينمّيها قويَت ونمَتْ». (تكوين ملكة المقاصد، ص: ١٦)

وهذا ما تَسعى إليه رابطة العالم الإسلامي –عَبر مَجْمعها الفقهي– حيث تبذُل جهودها وتسخّر إمكاناتها لخدمة الفقه الإسلامي وتقويته وتمكينه من خلال تكوين الفقيه المعاصر وتأهيله تأهيلاً علمياً رفيعاً؛ تمكّنُه من أداء رسالته وتنفيذ مسؤوليّاته وَفق متطلّبات العصر ومستجدّاته، في ظلّ التحوّلات المتسارعة، وتنامي حضور التقنيات في مختلف مجالات الحياة.

وقد أقامَت في سبيل ذلك مؤخّراً: ملتقى الفقهاء الأول بالعاصمة الماليزية (كوالالمبور)، بعنوان: (تدريس الفقه الإسلامي وتكوين الفقيه: معالم وضوابط)، شاركَ فيه نخبةٌ من كبار فقهاء العالم الإسلامي ببحوث علْميّة رصينة، أكّدَت في جملتها على أن تكوين الفقيه المعاصر وبناءه العلمي الراسخ، ينبغي أن يراعَى فيه ما يلي:

- التأصيل الشرعي المُحكَم من خلال التكوين العلمي الرصين؛ بتحصيل العلوم الشرعية من الفقه والتفسير وأصولهما، والحديث وعلومه، واللغة العربية وقواعدها.

- الاتصاف بالملَكة الفقهية الراسخة التي تَمنَح الفقيهَ القُدرة على النظر الصحيح في الأدلّة المعتبرة شرعاً؛ من خلال تحقيق مناطات النصوص الشرعية وتنقيحها وتَخريجها، ومِن ثَمّ تنزيلها على الوقائع؛ في ضوء القواعد الفقهية وكلّيات الشريعة، بما يَضمن سلامة الدراسة، ودقّة الاجتهاد، ورسوخ المنهج.

- بناء عقليّة الفقيه وصياغته من خلال المنهج المقاصدي الذي يَربطه بالحكمة الربّانية من التشريع، ويمكّنه من تغيير زاوية النظر عند تناوُل القضايا المعاصرة؛ ليَصل إلى الحُكم الشرعيّ المناسب بوعي وثقة وطمأنينة تامّة، ويُثبِتَ أن الشريعة الخاتمة قادرةٌ على استيعاب متغيّرات الحياة ومستجدّاتها.

- التصوّر الصحيح للمسألة الفقهية؛ من خلال فهْم الواقع فيه، ومن ثَمّ فهْم الواجب في الواقع، والفقيه الناجح مَن تَوصّلَ بمعرفة الواقع والتفقّه فيه إلى معرفة الحكم الشرعي فيه.

- الارتباط الوثيق بعلم أصول الفقه باعتباره القانون

الضابط لنَظر الفقيه للتعامل مع الأدلة الشرعية، والتمييز بين الوقائع المعروضة، وتمحيص المناط المؤثّر في تنزيل الدلائل على المسائل، وتخريج الفروع على الأصول، ولهذا قال الإمام الرازي عن علم أصول الفقه إنه: «العاصم لذِهن الفقيه عن الخطأ في استنباط الأحكام الشرعية من أدلّتها التفصيلية».

- التمكّن الحاذق من أدوات النّظر وآليّات الاستنباط وطُرق الاجتهاد، مع اكتساب مهارات التحقيق والتحرير والترجيح، التي تُمكّن الفقيه من الوصول إلى فهم راسخ وأفق واسع؛ تَجعله قادراً على بيان حقائق الإسلام، وصلاحيّته لكل زمان ومكان.

- الإحاطة بالقواعد الأصولية والفقهية، وربْط الأحكام بالمقاصد والحِكم التشريعيّة، وبيان مراعاتها للقِيم الأخلاقية، وترسيخِها لمبدأ الاعتدال والوسطية، حمايةً للفكر الفقهي من التعصّب والانغلاق، وصيانته من الابتذال والانحراف.

- التكامُل العِلْمي والعمَلي في تأهيل الفقيه؛ من خلال تزويده بالعلوم الشرعية مع العلوم العصرية، وتمكينه من المعارف والوسائل التي تُقوّي ملكَته الفقهية، وتَمنحُه القدرة على فهم المسائل والنوازل، واستيعاب القضايا المستجدّة، وإصدار الفتاوى والأحكام؛ وفق رؤيةٍ تحافظ على الثوابت الشرعية، وتراعي المتغيّرات المكانية والزمانية.

-التّحلّي بأدب الخلاف الذي يمكّن الفقيه من إدارة التنوّع الفقهي المذهَبي، بروح من الاحترام المتبادل؛ في ظل الاحتكام إلى الدليل، مع استثمار مساحات الاتفاق، ومراعاة أوجه الاختلاف المعتبرة، وصولاً إلى استيعاب البيئات والثقافات المتعدّدة، وترسيخاً لمبدأ الأمّة الواحدة، وتطلّعاً إلى تحقيق مصالحها العُليا.

- الاستفادة القصوى من مصادر الفقه المتنوعة ومراعاة مذاهب الأئمّة المعتبَرين، ومُخرَجات اجتهاد الفقهاء المتقدّمين والمعاصرين، واستيعاب لغة الفقه ومصطلحاته التي تمكّن الفقيه من القدرة على استنباط الأحكام التفصيلية من النصوص الشرعية، وتنزيلها على واقع الناس وأفعال المكلّفين؛ بما يحقق مصالحهم في المعاش والمعاد؛ وفق القواعد المقررة للشريعة وأصولها الكلّية.

- التوظيف الأمثل للتطبيقات الذكية الحديثة، وتفعيلها وتسخيرها لخدمة البحث الفقهي والاجتهاد الجماعي؛ بما يَرفع كفاءة الأداء، ويسّر الوصول إلى المصادر، ويعزّز دقّة الاستنباط، وتنزيل الأحكام.

إن الحاجة ماسّةٌ إلى صياغة رؤيةٍ عِلْميةٍ جامعة، وصياغة منهجيةٍ متكاملةٍ ورصينة، تُسهم في إعداد فقيه المستقبل، القادر على الإحاطة الشاملة بواقعه، والمتفاعِل بإيجابيّة مع مستجدّاته وتطوّراته، والناظر في نوازله ببصيرةٍ دقيقة وحكمةٍ نافذة، ليُقدّم فِقهاً متجدّداً، مواكباً للعصر، وهادياً لمسيرة أمّتنا المسلمة.

ما أحوجَنا اليوم إلى فقهٍ إسلاميّ رصين ومستنير، يسايرُ واقعَ الناس، ويراعي تحوّلاتهم، ويلامسُ همومَهم، ويخاطب وجدانهم، ويعالج مشاكلهم، وينظّم حياتهم، ويحقق مصالحهم، ويستوعب قضاياهم، ويَحفظ عليهم دينهم ويُصلِح لهم دُنياهم.

وهو ما يَفرض على الجميع -أفراداً ومؤسّسات- مضاعفة الجهود، وبذل الإمكانات، لبناء منظومة فقهيّة واعِدة وشاملة، تُظهر الإسلامَ في صورته الصحيحة، وتَحفظ ثوابتَه الراسخة، وأصولَه المحْكمة، وتصون الفكر الفقهي من الانحراف والابتذال، وتعزّز دوره في ترشيد الوعي وترسيخ الاعتدال، وتُسهم في بناء حضارةٍ راشدةٍ؛ تَجمع بين التقدّم الماديّ والسموّ الروحي، وتحقّق للإنسان طمأنينة الحاضر وسعادة الآخرة.

الخط العربي
وعالمية الحضارة الإسلامية

أ.د. محمد أحمد عنب ـ مصر

يُشكّل الخط العربي واحدًا من أرقى الإنجازات الحضارية في العالم الإسلامي، إذ نشأ في بيئته العربية الأصيلة، ثم تجذّر في لغة القرآن الكريم، والتي منحها الله تعالى مكانة فريدة وشرف حفظ كلامه عز وجل عبر العصور. ومن خلال براعة المسلمين في تطوير هذا الفن وتحسينه، ارتقى الخط العربي ليصبح أحد أبرز معالم الفن الإسلامي، ومفتاحًا أساسيًا لفهم تاريخ وجماليات الحضارة الإسلامية وعالميتها.

اللغة العربية محور الحضارة والثقافة الإسلامية

ارتبط الخط العربي ارتباطًا وثيقًا باللغة العربية منذ نشأته. وقد اكتسبت هذه اللغة مكانةً ثقافية مرموقة باعتبارها لغة الدين الذي نزل بها القرآن الكريم، وشكّلت وحدة ثقافية كبرى وثّقت أواصر التواصل بين الشعوب الإسلامية، وجمعتها على اختلاف لغاتها وأعراقها. فقد كانت أكثر من مجرد وسيلة للتفاهم، بل أداة رئيسية لتعزيز الانسجام الثقافي والفكري بين أقوام وجنسيات متعددة، وارتقت لتصبح لغة العلم والفن والثقافة في أرجاء العالم الإسلامي، خصوصًا خلال العصور التي شهدت ظلامًا ثقافيًا في أوروبا، حتى إن العديد من العلماء غير العرب اعتمدوا العربية إلى جانب لغاتهم الأصلية لضمان انتشار مؤلفاتهم عالميًا. وقد أكّد المستشرق الأمريكي جورج سارتون George Sarton (١٨٨٤-١٩٥٦م) هذا المعنى قائلًا: «حقّق المسلمون عباقرة الشرق أعظم المآثر في القرون الوسطى، فكُتبت أعظم المؤلفات قيمة وأكثرها أصالة وأغزرها مادة باللغة العربية، وكانت من منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي لغة العلم الارتقائية للجنس البشري، وكان ينبغي لأيّ كان إذا أراد أن يُلم بثقافة عصره أن يتعلّم اللغة العربية، وقد فعل ذلك كثيرون من غير المتكلمين بها».

لا يقتصر الخط العربي على كونه وسيلة للكتابة فحسب، بل ارتقى إلى مقام الفن الراقي الذي يجذب العين والروح على حدٍّ سواء، بفضل تناسقه ودقة أشكاله وروعة تناغم خطوطه. ويترابط الخط العربي بشكل وثيق مع الزخرفة والفنون التطبيقية، ليصبح أحد الروافد الأساسية للفن الإسلامي، مستخدمًا في تزيين المعمار والمخطوطات والكتب. ومن خلال هذه التطبيقات، تحول الخط العربي إلى رمز بارز للحضارة الإسلامية وعالمية إسهامها في التراث الإنساني، معبّرًا في الوقت نفسه عن جمال الثقافة وروح الدين الإسلامي، وجاعلاً من الكتابة فناً يربط بين الجمال الفني والقيم الروحية.

رمز الجمال والهوية الإسلامية

يُمثّل الخط العربي أحد أبرز أعمدة الفن الإسلامي، ومن أهم ما يميزه التنوّع والعالمية. أما التنوّع، فيتجلى في تعدد الأساليب التقليدية مثل الكوفي والنسخ والثلث والرقعة والتعليق، وما تفرع عنها من إبداعات مبتكرة، إضافة إلى تناغمها مع الزخارف النباتية والهندسية، بما يعكس فلسفة الفن الإسلامي القائمة على التجريد والجمال المرئي، مما يمنح الكلمة وظيفة جمالية إلى جانب وظيفتها التعبيرية.

أمّا العالمية، فتتجلى في انتشار الخط العربي عبر مختلف بقاع الأرض، معبّرًا عن العمق الثقافي والهوية الإسلامية، ليصبح رمزًا خالدًا للجمال والفكر والروحانية. وقد أكّد المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون Gustave Le Bon في كتابه حضارة العرب بقوله إن «الفنون كلها في نشأتها قد تأثّرت بفنون الأمم الأخرى» لكن ما نجده أن الخط العربي وأساليبه وأشكاله «لم يكن قد تأثّر بأي فن من الفنون، بل هو الذي أثّر في تحولات الفن في أوروبا كما صرّح بذلك كثيرٌ من فناني الغرب»، بينما وصف إقليدس الخط بأنّه «هندسة روحانية بآلة جسدية تجمع بين تجريد المعنى ومادية الرسم». ومن هذا المنطلق، حرص الفنانون المسلمون على تطوير

الخط وتحسينه، مستفيدين من مرونة الحروف العربية لتوسيع آفاق الإبداع الفني وتطبيق أعلى معايير الجمال والهندسة.

يمتاز الخط العربي بالمرونة، الانسيابية، وجمال الإيقاع، إذ تتنوع أشكال الحروف بين الزوايا والانحناءات لتُثري المساحة البصرية والنفسية للرقعة الكتابية. ويتيح الخط تحكمًا دقيقًا في أبعاد الحروف، فالأحرف القائمة كاللام والألف وقوائم الطاء والظاء يمكن إطالتها رأسيًا، فيما يمكن بسط الأحرف الأفقية كحرف السين والصاد لإضفاء توازن بصري. كما تتوفر إمكانيات التدوير والتقويس لأحرف الجيم والحاء والخاء، مع إمكانية المطّ والزيادة في الحجم والطول لأحرف الراء والهاء والواو، فضلًا عن قابلية الضغط لتصبح الحروف منكمشة، وإمكانية التزويّة أو التربيع لاكتساب أشكال هندسية. هذه المرونة التشكيلية الفريدة تجعل الخط العربي مطواعًا للعقل والإبداع، بما لا يتوافر في الخطوط الأخرى، وتجسّد عالميته وقوته الفنية، مستمدة من روحانية القلم وجودة المداد التي تنبثق في لحظة إبداع فني وفلسفي لا تتكرر.

رحلة الخط العربي إلى أوروبا؛ جسر حضاري وفني

دخل الخط العربي إلى أوروبا مترافقًا مع مختلف مظاهر التأثير الإسلامي في العمارة والفنون، من خلال عدة معابر تاريخية. أولها كانت الحروب الصليبية، التي حمل خلالها الصليبيون معهم نسخًا من المخطوطات والقطع الفنية المزخرفة بالخط العربي، معجبين بروعة الفن العربي. ثانيها، رحلات الحجاج الأوروبيين إلى بيت المقدس، حيث أثار الخط العربي إعجابهم لارتباطه بالأماكن المقدسة والتحف المزخرفة. كما لعب التجار دورًا مهمًا في نقل المخطوطات النادرة والمنتجات الفنية الثمينة، بجانب الهدايا المقدمة من الشرق إلى الغرب، ما ساعد على انتشار الخط العربي في الأسواق الأوروبية باعتباره رموزًا علمية وأدبية وفنية لا غنى عنها. وانتقل الخط أيضًا عبر العملات الإسلامية، التي مثّل الخط فيها العنصر الزخرفي المركزي، وعرفت أوروبا بها من خلال العلاقات الاقتصادية المزدهرة مع العالم الإسلامي، مؤكدًا دوره كجسر حضاري وفني بين الشرق والغرب.

كما لعبت دولة الأندلس دورًا محوريًا في نقل الحضارة العربية إلى أوروبا، حيث أسّس العرب فيها تقاليد حضارية راسخة في العمارة والفنون والخط والزخرفة، مؤثرين في الفنون المحلية الأوروبية التي استلهمت من الأساليب الإسلامية نماذج عديدة في صناعتها وآدابها وفنونها. كما ساهمت الدولة العثمانية في نشر الخط العربي من الشرق إلى أوروبا، خاصة بعد استيلائها على القسطنطينية، مفتاح أوروبا، حيث لعبت المعارض الفنية والآثارية العثمانية دورًا مهمًا في تشكيل أنماط جديدة من التفكير الإيجابي لدى

الأوروبيين تجاه الحضارة العربية والإسلامية.

اكتسب الخط العربي صفة العالمية وانتشر في مختلف البلاد، معبّرًا عن روح الإسلام وعظمة الحضارة الإسلامية. وقد تأثرت الشعوب غير الإسلامية بجماليات الخط العربي، متأثرة بالأبعاد الجمالية والأدبية للمخطوطات المذوّقة والمذهّبة، إلى حدٍّ أثار إعجاب الأوروبيين. وذكر الكاتب الفرنسي جورج مارسيه Georges Marçais أن الحضارة العربية الإسلامية كان لها أثر بالغ في أوروبا، حيث طغت العناصر الإسلامية منذ نهاية القرن الحادي عشر على واجهات الكنائس الرومية، ولاحقًا اختلطت هذه العناصر مع الفن القوطي الفرنسي، ما يعكس تأثير الخط العربي والفنون الإسلامية على الثقافة الأوروبية.

تأثير الخط العربي على الفنانين الأوروبيين

تأثر الفنانون الأوروبيون بالخط العربي منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وانتشر هذا التأثير في صقلية وإيطاليا وإسبانيا وغرب فرنسا، متجلّيًا في الرسم والنحت والعمارة والزخرفة. وقد كانت القيمة الجمالية للخط العربي، سواء في النسخ أو الكوفي، العامل الأساسي الذي دفع الأوروبيين لتضمينه في

أعمالهم، إذ لعب دورًا بارزًا في زخرفة بعض المباني، أبرزها كنيسة الكابلا بالاتينا في صقلية التي شيدها الملك النورماندي روجر الثاني، حيث يزيّن سقفها أشرطة مكتوبة بالخط الكوفي. كما انعكس تأثير الخط العربي على تطور أشكال الحروف الأوروبية، كما يظهر في الكتابات القوطية على قبر ريتشارد الثاني في وستمنستر، وانتشرت زخارف الخط العربي على المنسوجات الحريرية المصنوعة في صقلية، من أبرزها عباءة تتويج روجر الثاني المحفوظة في متحف القصر بمدينة فيينا، والمزينة بشريط كتابي على الطابع الفاطمي. كما استلهم كبار الرسامين الأوروبيين مثل رامبرانت، دافنشي وبيكاسو من نماذج زخرفية إسلامية في لوحاتهم، وقد عبّر الفنان والرسّام العالمي بابلو بيكاسو عن إعجابه بالخط العربي قائلًا: «إن أقصى نقطة أردت الوصول إليها في فن الرسم وجدت أن الخط العربي قد سبقني إليها منذ أمد بعيد».

لقد تأثر عدد من الفنانين الأوروبيين بالخط العربي واستخدموه في أعمالهم الفنية، من أبرزهم الرسامان الإيطاليان دوتشيو Ducci وفيليبوليبي Filippo Lippi. والنحات الإيطالي أندريا دل فرّوكيو Andrea del Verrocchio، أستاذ ليوناردو دافنشي، أشهر فناني النهضة الإيطالية. ومع انتشار التجريدية ومفهومها الجمالي البحت، أصبح الحرف العربي أنموذجًا للتشكيل المجرد المتناغم، فاستعان به الفنانون الغربيون في غالبية أعمالهم باعتباره صياغة جمالية متقنة ومتناسقة. واستمر الغرب في تقدير الخط العربي وتوثيقه، كما فعلت ألمانيا التي خصصت دارًا لمحفوظاته، جمعت فيها صورًا للوحات أشهر الخطّاطين، لتُصبح مرجعًا مهمًا لدراسة هذا الفن. كما تُنظّم القنصليات الألمانية في الدول العربية معارض للخط العربي، مُعبّرة عن شغفهم به وحرصهم على تعلمه ودراسته، مما أسهم في استمرارية الإبداع والارتقاء بهذا الفن عبر الأجيال.

وأخيرًا لقد جسّد الخط العربي روح الحضارة الإسلامية وانتشر عالميًا، مؤثرًا في الفنون والثقافات خارج حدود العالم الإسلامي. إنه ليس مجرد وسيلة كتابة، بل رمز للجمال والفكر والروحانية، يعكس قدرة الفن الإسلامي على تجاوز الزمان والمكان، ليظل جسرًا حضاريًا يربط بين الشعوب والثقافات.

لافتًا إلى أنها قدمت لهم ١٠٠ منحة دراسية

مديـر جامعـة أفريقيا: أمنّـا مراكـز دراسـة خـارج السودان لكافة الطلاب المتأثرين بالـ«الحرب»

حوار: توفيق نصر الله

مستوى خريجي جامعة إفريقيا العالمية في سوق العمل يُعد متميزًا على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية، وقد أثبتوا كفاءة عالية في مختلف التخصصات. والدليل الأبرز أن من بين خريجينا رؤساء دول، ووزراء داخلية، ومحافظي بنوك مركزية، وممثلين دائمين لبلدانهم في الأمم المتحدة.

قدّمت الجامعة نموذجًا ناجحًا من خلال برنامجها «الجامعة المنتجة» والذي قامت عبره بمشروع استثمار زراعي ومشروعات تصنيع صغيرة.
وشملت التجربة زراعة المحاصيل، وتربية الحيوان، ومصانع صغيرة للمنتجات الغذائية، مما جعل الجامعة رائدة في هذا النوع من المشروعات بالسودان.
في ظلّ التحولات العميقة التي يشهدها السودان، تظلّ مؤسسات التعليم العالي إحدى ركائز الصمود وإعادة البناء، وفي مقدمتها جامعة إفريقيا العالمية، التي حملت منذ تأسيسها رسالةً تتجاوز الجغرافيا، وتمزج بين الهوية السودانية والبعد الإفريقي والامتداد الدولي. فمنذ انطلاقتها عام ١٩٦٦م باسم المعهد الإسلامي الإفريقي، رسخت الجامعة مكانتها بوصفها منارة علمية وثقافية استقطبت طلابًا من عشرات الدول، وأسهمت في تخريج قيادات علمية وسياسية وفكرية كان لها أثرها في أوطانها.

في هذا الحوار، يفتح لنا البروفيسور حاتم عثمان محمد خير، مدير جامعة إفريقيا العالمية، نافذة شاملة

على مسيرة الجامعة، متوقفًا عند محطاتها التاريخية، ورسالتها العالمية، وتجربتها الرائدة في «الجامعة المنتجة»، ودورها في تعزيز قيم التعايش ومكافحة خطاب الكراهية. كما يتناول الحوار حجم التحديات التي فرضتها الحرب الأخيرة، وآليات الجامعة في ضمان استمرار العملية التعليمية، ورعاية طلابها الدوليين، واستشراف مرحلة ما بعد الحرب وإعادة الإعمار.

حوارٌ يعكس رؤية قيادة جامعية تؤمن بأن التعليم رسالة مستمرة، وأن الجامعة – مهما اشتدت الأزمات – تظل فضاءً للعلم، وجسرًا للتواصل بين الشعوب، وأداةً فاعلة في صناعة المستقبل.

إلى أي مدى تأثر الطلاب الدوليون - الذين يشكلون نسبة معتبرة - بالأحداث الجارية في السودان؟

تأثر الطلاب الدوليون بالأحداث إلى حدٍّ كبير، خاصة في الجوانب المتعلقة بالسكن والخدمات والتنقّل، إلا أن الجامعة سارعت لتأمين بدائل أكاديمية عبر التعليم الإلكتروني، وتوزيع مراكز دراسة خارج السودان، مما ساعد على استمرارهم في برامجهم دون فقدٍ دراسي يُذكر. قمت بجولة في إفريقيا شملت عدة دول حيث قدمنا فيها عدداً كبيراً من المنح للطلاب الدوليين؛ وفي زيارتي الأخيرة للمغرب قدمنا ١٠٠ منحة.

كيف تطورت رسالة جامعة إفريقيا العالمية منذ تأسيسها؟

رغم أن هدفها الأول كان خدمة أبناء القارة الإفريقية، إلا أن رسالتها اتسعت منذ السبعينيات لتشمل طلابًا من كل أنحاء العالم، وهذا ما يميز جامعة إفريقيا العالمية اليوم، فهي جامعة سودانية الهوية، عالمية الرسالة والامتداد. للجامعة دورٌ راسخ في خدمة لغات وثقافات الشعوب المسلمة، وقد تجلّى ذلك في تأسيسها لعدد من المعاهد والمراكز المتخصصة، مثل دار مصحف إفريقيا التي أنشئت في عام ١٩٩٥م، حيث أصبحت داراً دولية لطباعة المصحف الشريف بروايات متعددة تخدم إفريقيا والعالم الإسلامي. وإلى جانب ذلك، تميّزت الجامعة بميزات فريدة لا تتوفر في كثير من الجامعات الإفريقية، من أهمها تنوّع طلابها الذين يفدون من أكثر من ٨٦ دولة، ووجود مراكز بحثية متخصصة تخدم قضايا القارة، وأن رسالتها دولية تجمع بين الهوية السودانية والامتداد العالمي.

كيف يتم دعم الطلاب الدوليين في الجامعة لضمان تجربة تعليمية ناجحة؟

تولي الجامعة اهتمامًا خاصًا بدعم الطلاب الدوليين عبر

البروفيسور
حاتم عثمان محمد خير

الإرشاد الأكاديمي، والخدمات الطلابية، وتوفير بيئة تعلم متعددة الثقافات، إضافة إلى برامج الدعم اللغوي وتسهيل الاندماج لضمان تجربة تعليمية ناجحة.

كيف تقيمون مستوى خريجي الجامعة في سوق العمل المحلي والإقليمي والعالمي؟

مستوى خريجي جامعة إفريقيا العالمية في سوق العمل يُعد متميزًا على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية، وقد أثبتوا كفاءة عالية في مختلف التخصصات. والدليل الأبرز أن من بين خريجينا رؤساء دول، ووزراء داخلية، ومحافظي بنوك مركزية، وممثلين دائمين لبلدانهم في الأمم المتحدة، وعددًا من السفراء المعتمدين في المملكة العربية السعودية وغيرها، مما يعكس قوة التأهيل الأكاديمي والمهاري الذي توفره الجامعة.

ماذا عن تعليم الفتيات وتمكين المرأة في جامعة إفريقيا العالمية؟

تولي جامعة إفريقيا العالمية اهتمامًا واضحًا بتمكين المرأة، فها هي نائب رئيس مجلس الأمناء السيدة الفاضلة بنت الأكرمين د. سلمى عبد الجبار؛ بالإضافة إلى أن جميع التخصصات متاحة للطالبات، وتدعم الجامعة مشاركتهن في البحث العلمي والأنشطة القيادية. وقد حققت الجامعة تقدمًا ملحوظًا في هذا المجال رغم بعض التحديات المرتبطة بالظروف الاجتماعية والاقتصادية في دول الطلاب، إلا أن الجهود مستمرة لتعزيز دور المرأة في التعليم والتنمية.

هلا حدثتمونا عن تجربة برنامج «الجامعة المنتجة» الذي قامت به الجامعة؟

قدّمت الجامعة نموذجًا ناجحًا من خلال برنامجها «الجامعة المنتجة» والذي قامت عبره بمشروع استثمار زراعي ومشروعات تصنيع صغيرة، حيث شُيّدت مزرعة

جامعية متكاملة في فترة إدارة البروفيسور كمال محمد عبيد، وكانت تمثل ركيزة للإنتاج والتدريب ورفد الجامعة بالموارد. وشملت التجربة زراعة المحاصيل، وتربية الحيوان، ومصانع صغيرة للمنتجات الغذائية، مما جعل الجامعة رائدة في هذا النوع من المشروعات بالسودان.

صدرت وثيقة مهمة من جامعة إفريقيا العالمية تحت عنوان «الميثاق الاجتماعي لمكافحة خطاب الكراهية»، وكان ذلك قبيل اندلاع الحرب في السودان، هلا حدثتنا عنها؟

هذه الوثيقة التي حظيت باهتمام المنتدى العربي الأوروبي تُعد إطارًا موجّهًا لترسيخ قيم التعايش والاعتدال داخل الجامعة وفي محيطها الإقليمي والدولي، وستواصل الجامعة تعزيزها بوصفها جزءًا أصيلًا من رسالتها التربوية والتثقيفية.

تحرصون على عقد اجتماعات مجلس الأمناء في مطلع كل عام ميلادي، وتكون معها برامج مصاحبة علمية. ما هي البرامج المتوقعة بعون الله تعالى في اجتماعات المجلس خلال شهر يناير القادم؟

من المتوقع أن يصاحب اجتماع مجلس الأمناء في يناير القادم عدد من الفعاليات العلمية، تشمل أكبر مؤتمر وهو مؤتمر إعمار الجامعات بعد الحرب تحت رعاية رابطة العالم الإسلامي، علاوة على ورش عمل أكاديمية، ولقاءات حول تطوير المناهج والجودة، إضافة إلى ندوات بحثية تعزز رسالة الجامعة الدولية، مع استعراض خطط العام الجديد.

ما مدى تأثير دعم أعضاء مجلس الأمناء والداعمين الآخرين في إنشاء الجامعة و تطو ير ها ؟

الدعم المقدم من أعضاء مجلس الأمناء والداعمين كان ركيزة أساسية في إنشاء الجامعة وتطورها، وقد أسهموا - ولا يزالون - في تمويل المشروعات، وتطوير البنية التحتية، ودعم رسالة الجامعة الدولية، مما كان له أثر مباشر في استمراريتها ونجاحها. وبعد الله سبحانه وتعالى نعول عليهم كثيرا في إعمار الجامعة في الفترة القادمة.

التقيتم مؤخراً بنائب الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ورئيس مجلس أمناء جامعة إفريقيا العالمية، الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن عبد الله الزيد، في صورة من صور التعاون الوثيق بين المؤسستين، هلا حدثتنا عن هذا التعاون؟

العلاقة بين جامعة إفريقيا العالمية ورابطة العالم الإسلامي علاقة راسخة وممتدة، تقوم على التعاون في خدمة العلم والدعوة وقضايا الشعوب المسلمة، ويُعدّ تولّي معالي الدكتور عبد الرحمن بن عبد الله الزيد منصب نائب الأمين العام للرابطة امتدادًا لهذا التواصل الوثيق، ودعمًا للتعاون الأكاديمي والفكري بين المؤسستين. الرجل الآن هو رئيس مجلس أمناء الجامعة وقَبِل بهذا التكليف في الفترة الزمنية الحرجة من عمر الجامعة فجزاه الله عنا كل خير، فهو نعم الرئيس ونعم الأخ ونعم الصديق.

محطات بارزة في تاريخ الجامعة

- منذ تأسيسها في ١٩٦٦م تحت اسم المعهد الإسلامي الإفريقي، قطعت جامعة إفريقيا العالمية مسيرة طويلة ومشرّفة من التطور المؤسسي والعلمي، جعلتها واحدة من أهم الجامعات التي تُعنى بالتعليم العالي والبحث العلمي في الإقليم.

- ١٩٦٦-١٩٧٧م: تأسيس المعهد الإسلامي الإفريقي كمؤسسة تعليمية تهدف لخدمة طلاب الدول الإفريقية، وتقديم العلوم الشرعية واللغة العربية، وترسيخ قيم الوسطية والتعايش.

- ١٩٧٧-١٩٩١م: توسّع المعهد ليصبح مركزًا دوليًا يستقبل طلابًا من آسيا وأوروبا وأمريكا، مما أعطى المؤسسة بعدًا عالميًا يتجاوز حدود إفريقيا، مع إدخال برامج أكاديمية جديدة.

- ١٩٩١م: صدور القرار الجمهوري بتحويل المعهد إلى جامعة إفريقيا العالمية، كجامعة ذات رسالة دولية، تستهدف خدمة دول القارة الإفريقية إضافة إلى العالم الإسلامي.

- التسعينيات - ٢٠٠٤م: توسع كبير في الكليات والبرامج، ودخول تخصصات الطب، الهندسة، الحاسوب، الاقتصاد، الإعلام، إضافة إلى تعزيز برامج الدراسات العليا.

- ٢٠٠٥ - ٢٠١٥م: انفتاح الجامعة على العالم عبر شراكات أكاديمية واسعة، وإنشاء مراكز بحثية، وتطوير البنية التحتية، واستقبال آلاف الطلاب من أكثر من ٨٠ دولة.

- ٢٠١٦ - ٢٠٢٥م: مرحلة التحديث الشامل، والتحول الرقمي، وتعزيز الاعتماد الأكاديمي والجودة، ودعم العلاقات الدولية، وتوسعة الأنشطة الطلابية والمجتمعية داخل السودان وخارجه.

«الجامع المخدومي»

منارة «كيرلا» الإسلامية، وملاذ طلاب علومها الشرعية

محمد محي الدين الوافي ـ الهند

المعاهد العلميّة ومنشآت التربية من المساجد والجوامع والمكتبات، لها دور كبير في نشر العلم الشرعي واللغة العربية في أنحاء الهند، وقد اضطلعت بهذا الدور العظيم في تثقيف المسلمين بل سائر الراغبين في طلب المعرفة.

ويعد الجامع المخدومي الواقع في منطقة فونانـي فـي ولاية كيرلا بالهند ، منارا تعليميا وتربويا أسهم فـي تثقيف الطلاب المسلمين، وسائر الراغبين فـي طلب العلم والمعرفة.

ونال هذا الجامع مكانا علّيآ في تقديم أصناف العلوم والمعارف العربية والإسلامية، وبحسب المعلومات المسجلة في المصادر عن تاريخ كيرلا، فإن طلاب العلوم الشرعية كانوا يقبلون على هذا الجامع فرادى وجماعات بعد أن أتمّوا دراسة الكتب الأساسية والتراثية فـي الفقه والعقيدة والمنطق والفلسفة.ووفقًا لما سجّل وليليام لوغان فـي تأليفه عن ماضي كيرلا «كتاب ملبار»، أنّ هذا الجامع قد بُني فـي عام ٩٢٥ الهجريّ الموافق سنة ١٥١٠ الميلاديّة بأيدي الشيخ

يتميز التصميم الداخلي لهذا الجامع بالعديد من عجائب الهندسة المعمارية مثل الباب الرئيسي المنقوش بالآيات القرآنية والجدران المزينة بالأخشاب التي رسمت فيها الآيات والأحاديث

زين الدين بن عليّ بن أحمد المعبري المخدومي المشهور باسم زين الدين الكبير. وإنّه بعد أن أتمّ تعليمه الابتدائي من ولاية كيرلا هيّأ راحلته للذهاب إلى مكة المكرّمة وهو يريد الدراسة العالية من العلماء الذين ذاع صيتهم على المستوى العالمي، مثل العلامة أحمد شهاب الدين الحلّي اليمني، والإمام جلال الدين السيوطي، والسيد أبي بكر الحضرمي، والسيد حسين الحيدروسي، والإمام أحمد بن شمس الدين الطنطاوي. وعلى الرغم من أنّه أنفق عدة سنوات بمكة المكرّمة سابقًا في محيط العلم ومدخرًا لجواهره اقتباسًا من العلماء العاملين، لم ينطفئ حرصه على طلب العلم ومجالسة الشيوخ الأجلاء، فتوجه من مكة إلى مصر.

ولمّا وصل الشيخ زين الدين إلى مصر التي تعد مركز العلم ومنتهى المعارف في العالم الإسلامي، التحق بالجامع الأزهر. وبذلك أصبح الشيخ زين الدين الكبير المخدوميّ أوّل شخص من كيرلا ينال الشهادة من الأزهر. وعندما مرت خمس سنوات بعد التحاقه بالأزهر الشريف، فكر بالعودة إلى مكة المكرّمة مرة أخرى ليؤدي فريضة الحجّ. وكان يشتاق لمسقط رأسه في بلده، فقد طال العهد بأهله، فعزم على العودة إلى بلده كيرلا وعلى بذل بقيّة عمره هناك مشتغلا بالتعليم. وما لبث بعد عودته إلى بلدته كيرلا أن خطرت بباله فكرة بناء المسجد بمنطقة فوناني. فكان بناء المسجد المخدومي سنة ٩٢٥ الهجرية، أو الجامع الكبير بفوناني. ويبقى هذا الجامع الشهير الفسيح حتى في عصرنا هذا بدون أن يطرأ عليه الخراب والدمار مذكّرا بالتراث الإسلامي الذي مس تراب كيرلا منذ عهد النبوّة.

والناظر في الجهات الداخلية لهذا الجامع يطلع على العديد من عجائب الهندسة المعمارية مثل الباب الرئيسي المنقوش بالآيات القرآنية، والأعمدة المربعة التي بينها قناطير يتعلق بعضها ببعض، والجدران المزينة بالأخشاب التي رسمت فيها الآيات والأحاديث. وفي جوف الجامع مكان خاص لا تفتح أبوابه إلا للصلوات الخمس المفروضة. وفي السقف (نجفة) تحتها حجر أثري ومسجل عليه أن الذي وضعه هو الفقيه المشهور ابن حجر الهيتمي، حينما أقبل على كيرلا للزيارة.

ولا يزال الراغبون في العكوف على تعلم الكتب التراثية في الشريعة الإسلامية؛ لا يبرح فيضهم إلى مكان الحجر من هذا الجامع مستمرا حتى يومنا هذا دون توقف أو انقطاع وهم يرمون إلى ادخار الدرر العلمية في جعبتهم وتلقيها من كبار العلماء، ويجلسون في هذا المكان الذي اضطلع بإنشائه العالم ابن حجر الهيتمي ليجروا مناقشات وبحوثًا علمية.

رسّام«فرنسي» قادته «الصحراء» لاعتناق الإسلام

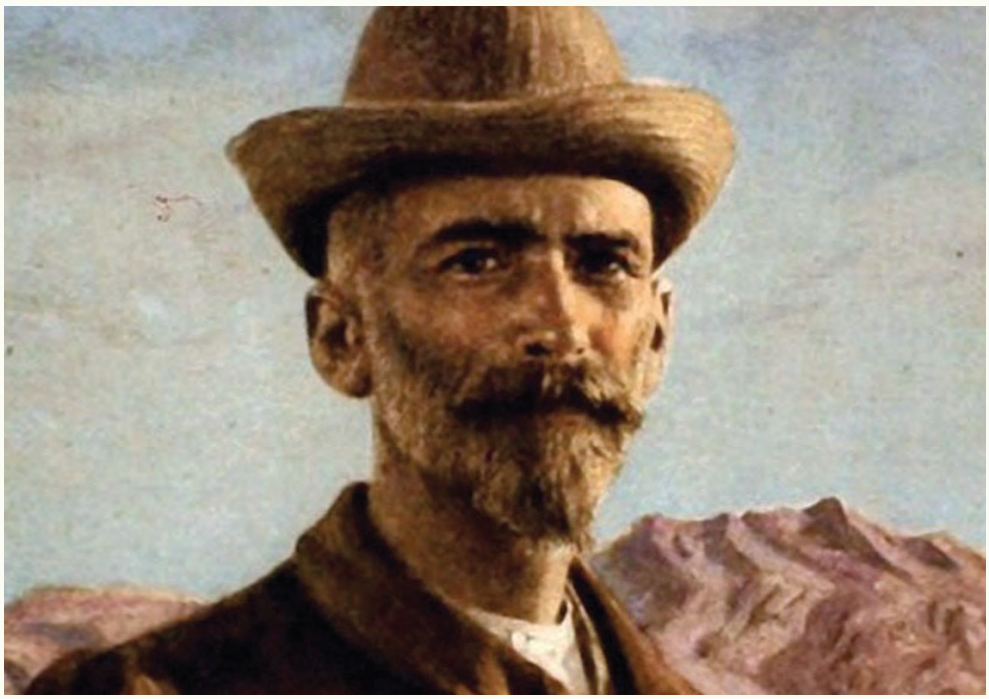

الدكتور حسن عزوزي - أستاذ بجامعة فاس

على الرغم من مرور أكثر من تسعين سنة على رحيله، لا تزال بصمات الرسام والكاتب الفرنسي إتيان دينيه Etienne Dinet أو ناصر الدين دينيه بعد إسلامه راسخة تطبع الثقافة والفن الإسلاميين بنفحات روحانية. فالمطلع على حياة الرجل قبل وبعد إسلامه، والمتأمل في العشرات من لوحاته الفنية ذات الأبعاد الدينية لا يملك إلا أن يستشعر قوة الإسلام الروحية وعظمته الحضارية، وقد جسّد جانباً منها مَن دخل في الإسلام في أخريات عمره.

لو خُيّر المرء بين أن ينعم في ظلال الحضارة والترف ورغد العيش وبين أن يعيش في أعماق الصحراء وغياهبها وبحرارتها وقسوة العيش بها فإنه لا يتوانى في قبول الحياة السعيدة الطيبة التي توفرها الحواضر والمدن الكبرى، فما بالنا لو تعلق أمر الاختيار بفترة تعود لأكثر من قرن من الزمن.

هذا هو الذي حدث فعلاً للمستشرق الفرنسي إتيان دينيه عندما آثر أن يتخذ لنفسه ركنا ركينا بمدينة بوسعادة الصحراوية جنوب الجزائر مفضلا العيش بها عن المقام في وسط مدينة باريس وما توفره للمقيم بها من أسباب الراحة والدعة والاستفادة من معطيات الحضارة الراقية، وبذلك فقد آثر العيش مع العرب المسلمين في أجواء صحراوية بسيطة مقارنة بعاصمة الأنوار باريس التي كانت تعتبر وقتئذ إحدى كبريات العواصم العالمية تقدمًا وتطورًا.

نشأته ورحلاته

ولد إتيان دينيه يوم ٢٨ مارس ١٨٦١ بالدائرة الثانية بباريس لعائلة بورجوازية كاثوليكية فرنسية عريقة لها

صلة بطبقة النبلاء، كان والده «فيليب ليون دينيه» رئيسًا لإحدى المحاكم العليا بباريس، وكانت أمه «لويز ماري أوديل» تنحدر من سلالة العائلة الملكية، أما جده لأمه فكان مهندسًا وابنًا لوكيل الملك بمقاطعة فونتان بلو Fontaine Bleue الشهيرة، أما أخته جان Jeanne Rolance فهي التي كتبت سيرته بعد وفاته.

شبّ إتيان وترعرع في ظل أعراف وعادات اجتماعية تنتمي للبورجوازية الباريسية، وكانت أمه مولعة بالفنون الجميلة، فكان التأثر الفني بادياً على ولدها إتيان الذي أبدى حماسة ونزوعاً للرسم في سن مبكرة، وفي سن العاشرة التحق بمدرسة هنري الرابع في باريس وهي المدرسة الوحيدة التي كانت تستقطب أبناء النخبة الارستقراطية الفرنسية، ومن أبرز زملاء إتيان دينيه بهذه المدرسة الكسندر ميلران الذي سيصبح بعد خمسة عقود رئيساً للجمهورية الفرنسية (١٩٢٠-١٩٢٤)، وقد ظهرت عليه بوادر التفوق والتميز في التاريخ والجغرافيا والرسم. وفي عام ١٨٨٣ سنحت لإتيان فرصة زيارة الجزائر التي كانت قابعة تحت الاستعمار الفرنسي، حيث زار العاصمة، ثم توغّل بعيدا نحو الجنوب حيث دخل إلى منطقة الأغواط التي تقع على مسافة ٤٢٠ كيلومترا جنوب العاصمة، وكان شغله الشاغل أخذ بعض الصور الفوتوغرافية عن الحياة الاجتماعية بصحراء الجزائر من أجل معاودة رسمها وإخراج لوحات فنية معبرة عنها. لقد كانت الصحراء وقتها قبلة أدباء العالم بامتياز، حيث كانوا يهرعون إليها أملا في معايشة تجارب روحية وإنسانية فريدة تُلهمهم أسرار الوجود والكون، وتكشف لهم منابع الإلهام والحقيقة.

وفي ربيع عام ١٨٨٥م قام دينيه برحلة جديدة تجول خلالها عبر عدة مدن جزائرية مكنته من التقاط صور عديدة ورسم مجموعة من اللوحات الفنية، ثم عاد إلى باريس مقتنعاً بأن مستقبله الفني مرهون بمدى التعلق برسم لوحات تعكس الحياة الاجتماعية الصحراوية لجنوب الجزائر، فقام بإنشاء مرسم خاص بعد أن كان قد انتهى من دراسته بأكاديمية جوليان.

ولم يكن إتيان دينيه، الشاب وقتئذ، يعلم أن هذه الرحلات المتتالية إلى صحراء الجزائر ستمهد لبداية طريق الهداية والسلام الروحي. فمما لا شك فيه أن جاذبية تلك المنطقة بالنسبة إليه ورغبته في العيش وسط مداشر (جمع دشرة: تجمع سكاني) وواحات صحراوية

تتحرك عبرها الحياة الدينية والاجتماعية الإسلامية في نقائها وصفائها بعيدا عن المؤثرات الحضارية، إلى الحد الذي جعله يفضل قضاء ستة أشهر بها كل سنة، كل ذلك سيكون له التأثير البالغ على مستوى تحريك مشاعره الدينية وأحاسيسه الروحية لكي يُقبل على دراسة ديانة من سيعيش بين ظهرانيهم من المسلمين، فيقرأ القرآن الكريم، ويطلع على سيرة الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم، ويتعرف أكثر على حضارة الإسلام وقيمه ومثله في استعداد واضح لتقبل دعوة الإسلام والدخول فيه بعد اقتناع تام واستيعاب كامل لحقيقته وموثوقيته.

الطريق إلى الله

عندما يقدر الله تعالى الهداية لأحد من خلقه فإنه يهيئ له من الأسباب والدواعي ما يكفل له تلمس خيوط الطريق المؤدية إلى الهداية الربانية والنور الإلهي المشرق. وبالنسبة لدينيه، فقد شاءت الأقدار أن يكون الرسم الذي أحبه ومال إليه منذ نعومة أظفاره سبباً رئيسياً في انتقاله إلى الجزائر البلد الإسلامي ذي الصحاري الشاسعة، والفيافي الواسعة التي توحي للرسامين بأبهى الصور الفنية وأروع المشاهد الجمالية، والتي يجد فيها أولو النهى ما يفتح القلوب ويفسح المجال للتدبر والتفكر والتأمل في خلق الخالق سبحانه.

لقد كان دينيه عديم الثقافة الدينية في أثناء دراسته في المرحلة الثانوية، حيث لم يكن يُعير القضايا والمسائل الروحية في إطار النصرانية التي كان ينتمي إليها أدنى اهتمام، لكن مع مرور السنين وبلوغ سن الرشد والنضج، بدأت الدوافع الفطرية تلح على باطنه ليبحث عن حقيقة الكون والوجود؛ وأثناء وجوده في الجزائر، وجد الرجل في عالم الصحراء اللامتناهي ما يستهويه ويجذبه إلى التأمل في النواميس الكونية واستكناه أسرار الخلق والوجود والطبيعة.

وبالتوازي مع ذلك كان يشاهد من حوله البدو الرحل سكان الصحراء وهم يؤدون صلواتهم تحت أشعة الشمس وعلى صفحات الكثبان الرملية الناعمة بكل تلقائية وبساطة، ومن دون اعترافات غفرانية أو وساطة كما هو الحال في الكنيسة، كل واحد من المصلين

يناجي ربه مباشرة وبكل حرية. هنا لم يجد دينيه بُداً من مشاركة هؤلاء صلواتهم، فكان يؤديها معهم جماعة ويسألهم كل مرة وحين عن أسرار الصلاة والصيام وغيرهما من شعائر الإسلام. لقد أحب دينيه حياة العرب، فاتخذ له بينهم مقاما محمودا في تلك الواحة السعيدة «بوسعادة»، واستمر على تلك الحال أشهُرا عدة يشارك أبناء الصحراء حياتهم الدينية والاجتماعية وكأنه واحد منهم، إلى أن أعلن إسلامه عام ١٩١٣، واستبدل اسمه باسم «ناصر الدين» تفاؤلا منه بأن يكون له حظ ونصيب في نصرة الإسلام. لقد أسلم عن روية وتيقن وتفكر وتعمق بعد تجاوزه سن الأربعين، لذلك كان في عقيدته مكينا راسخا وفي إسلامه كاملا ملتزما.

وفي عام ١٩٢٧ أعلن عن إسلامه بشكل رسمي واحتفالي بالمسجد الكبير بالعاصمة الجزائرية، وذلك بحضور شخصيات دينية وفكرية وأدبية عديدة، وعلى رأسها مفتي الجزائر ووزير العدل التونسي؛ وأثناء الحفل، أعلن دينيه أمام الحضور أنه يدين بالإسلام من عشرات السنين وأنه لم يجهر به إلا اليوم، وأنه يريد منهم أن يدفنوه في قبره مسلما حنيفا، وليس له من وراء إسلامه مطمع ولا مغنم، وأنه لم يتخذه إلا بعد بحث وتدقيق.

لم يرق اعتناق دينيه للإسلام لكثير من الأدباء والفنانين الفرنسيين، فانفض عنه معظم أصدقائه ومعارفه، وتمت مقاطعته بشكل نابذ، بل إن الرواج الذي كانت تعرفه مبيعات لوحاته تراجع بصورة فظيعة نتيجة الحملة المعادية التي تعرض لها خاصة على مستوى الكتابة، حيث تم نشر مقالات عديدة في الصحافة الفرنسية تندد وتستنكر هذه الردة التي أعلن عنها دينيه كما سوف نرى.

والمتأمل في معظم لوحات دينيه يلمس تأثره البالغ بروح الإسلام وشعائره وتعاليمه، بخلاف الأعمال الفنية الاستشراقية الأخرى التي يطغى عليها الطابع الرومانسي، حيث لا يكاد يُقدّم الشرقي إلا من خلال صور نمطية بالغة الازدراء، ويغلب عليها المبالغة والتنميط والشيطنة أحيانا.

من جهة أخرى يمكن القول بأن دينيه كفنان تشكيلي

متألق يمارس هوايته باحترافية عالية كان يتلمس ويتصيد حياة الناس البسطاء في أدق تفاصيلها، فيترجم همومهم ويعكس عاداتهم وتقاليدهم، منزهاً ريشته من ملونات الفن الاستشراقي ذي البعد السياحي، ولعل أشهر لوحات دينيه المعبرة والناقلة لبعض التعاليم والشعائر الإسلامية لوحات: «صلاة الجماعة» و«مراقبة هلال العيد من سطوح المنازل» و«القافلة التي تتأهب للمغادرة في اتجاه رحلة الحج» و«الدعاء بعد الصلاة». كما حرص دينيه على نقل التأثيرات السلبية للاستعمار الفرنسي في صفوف الجزائريين، فعمل على نقل معاناة الشعب وهو يرزح تحت نير الاحتلال، وكان للمرأة الجزائرية حضور قوي في لوحات الفنان دينيه، حيث كان بارعا في إبراز مدى خبرته ومعرفته بأحوال وظروف الأسرة الصحراوية في المجتمع البوسعادي المحافظ. لقد ركز دينيه بالدرجة الأولى على عنصر التراث والشخصية العميقة التي تمثل النواة الصلبة لهوية الجماعة، فاهتم بالمدينة القديمة بسطوحها وطرقها ومسالكها، مركّزاً على النمط المعماري التقليدي الذي يواجه خطر الزحف المعماري الاستعماري، كما اهتم بإبراز الأمجاد الغابرة ومظاهر البطولة والشجاعة في مثل لوحة «العربي وحصانه»، كما تعبر معظم لوحاته عن مختلف الشرائح الاجتماعية والأعمار والحِرف.

لقد سمحت ثقافة دينيه الغزيرة وإلمامه الواسع بطبيعة الحياة العربية والبربرية في الجزائر بالتألق في حسن اختيار موضوعات الرسم لديه، حتى إنه لم يترك مشهدا أو موقفا يستحق التوقف عنده والتأمل في أبعاده إلا قام برسمه، ولذلك تعددت لوحاته حتى بلغت أكثر من خمسمائة لوحة.

بين حياة إتيان وحياة ناصر الدين

من الصعب جدا تحديد سنة محددة تفصل بين حياة دينيه قبل الإسلام وحياته بعد الإسلام، فبالرغم من أن الذين تحدثوا عن حياته ذكروا أنه أسلم عام ١٩١٣، وأعلن إسلامه بالجامع الكبير بالجزائر العاصمة عام ١٩٢٧ إلا أن آثاره ومواقفه التي طبعت السنوات القليلة التي سبقت عام ١٩١٣ تدل على انخراط تام وانتساب كامل إلى الإسلام، لكن يبقى عام ١٩١٣ حدا حاسما وواضحا بين عهدين ومرحلتين فاصلتين، إذ حتى على مستوى فن الرسم الذي مارسه بدون توقف يظهر الفرق بين طبيعة موضوعات رسومه قبل الإسلام حيث لم يتورع من رسم نساء غير محجبات وأحيانا مستحِمات في الوادي، وبين رسومه بعد إسلامه حيث كان الحرص على تصوير النساء محجبات وكأن الإسلام قد غسل ريشته، فأصبحت لا ترسم إلا الطّهر والعفاف. كما أنه بعد إسلامه كان التركيز على تصوير ورسم المشاهد الإسلامية الحاملة للمعاني الروحية من صلاة فردية وجماعية ونداء المؤذن وغير ذلك. وهي جميعها صادرة عن شعور وجداني عميق وتجربة إسلامية روحية، وقد شغف الفنان دينيه بمكة المكرمة قبل أن يؤدي فريضة الحج، وهو الشغف الذي سجله بريشته عام ١٩١٤ في لوحتين محفوظتين في الجمعية الوطنية للفنون الجميلة بباريس؛ الأولى تحمل عنوان «الصلاة حول الكعبة المشرفة في مكة المكرمة» والأخرى بعنوان «منظر عام لمكة المكرمة».

لقد كان دينيه فعلا فنانا مرهفا. ولذلك لم يكن غريبا أن ينجذب للإسلام مستجيبا لعالمه الداخلي ودوافعه الروحية. وإذا كانت مكانة دينيه قبل إسلامه مرموقة في صفوف كبار الشخصيات الفنية والأدبية الفرنسية، وكان التقدير الذي تُكِنه له مختلف الأوساط والدوائر الاستعمارية الفرنسية كبيرا، وتم السماح له بعرض لوحاته في مختلف المعارض العالمية (بروكسيل ١٩٠٨- أمستردام ١٩١٠....) فإنه بعد إسلامه تم الإعراض عنه وتجاهله، لكنه بالرغم من ذلك بقي معتزا بإسلامه مُظهِرا له أمام كبار المسؤولين الفرنسيين وهو يحاورهم ويتواصل معهم مدافِعا عن قضايا المسلمين خاصة منهم أولئك الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل الدفاع عن فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى حيث نجده يحول مع أفراد أسرته قصر العائلة بأرسي Hericy إلى مستشفى لاستقبال الجرحى المسلمين، كما أبدى رغبة في البحث عن مقبرة إسلامية بفرنسا تضم جثامين القتلى المسلمين بعد انتهاء الحرب، ولم تفتر حماسة دينيه في التفكير فيما عساه يخدم مصالح المسلمين بفرنسا والجزائر فناضل من أجل بناء مسجد كبير بفرنسا، وهو ما تم فعلا عندما سمحت السلطات الفرنسية بذلك، وتم تشكيل هيئة من كبار الشخصيات كان دينيه واحدا منهم من أجل التخطيط لبناء المسجد في الدائرة الخامسة.

وبالرغم من هذه المحطات في حياة ناصر الدين التي تُبرِز نوعا من الالتفات الفرنسي إليه باعتباره فرنسيا له مكانته واعتباره، إلا أن الواقع يدل على أنه بعد إسلامه قد تحمل تَبِعات ثقيلة وتعرض للتهميش بسبب مواقفه المخالفة للمبادئ الاستعمارية، ولذلك كان دينيه يرسل رسائل احتجاجية ضد السياسة الاستعمارية لكن بطريقة ناعمة ومشفرة، وهو ما عبر عنه في بعض لوحاته عندما رسم أجواء الفقر والمعاناة وشظف العيش تحت نير الاستعمار مثل لوحات: «الأرملة» و«عهود الفقر»، و«الأهالي المحتقرون»، وهذا بالرغم من أن معظم

لوحاتـه تزين كبريـات المتاحف العالمية وتـم إبراز بعضها في معجم لاروس.

وصيته ووفاته

لقد كان من باب التوفيق أن يفكر ناصر الدين دينيه في آخر سنوات عمره، وبالتحديد عام ١٩٢٨ في الذهاب إلى الديـار المقدسـة قصـد أداء مناسـك الحـج بصحبـة رفيق دربه سـليمان بن إبراهيم، ومهما اعترضت سبيله بعض الصعوبـات لإنجـاح الرحلة بحكـم أصوله الفرنسـية إلا أن همتـه وشـوقه للوصـول إلـى بيـت الله الحـرام دفعـاه للبحث عن طرق تبديد المصاعب.

وبعـد أن أنهـى مناسـك الحـج وعـاد إلـى باريـس كتـب بمعاونة صديقه كتابه: «الحج إلى بيت الله الحرام» ومما جـاء فيـه «هـذه الرحلـة تركت فـي نفسـي انطباعات لم أشـعر بما هو أسـمى منها في كل حياتي، فلا أحد في العالـم يمكنـه أن يعطي فكـرة عما شـاهدته من جوانب هـذه العقيـدة الوحدانيـة مـن حيـث المسـاواة والأخـوة بيـن نحـو ٢٥٠ ألفًا من الناس مـن مختلف الأجناس كانوا مزدحمين الواحد بجانب الآخر في صحراء موحشة».

دينيه الكاتب

يعتبـر ناصـر الديـن دينيـه رجلا مبدعـا متعـدد المواهـب والقدرات، فهو رسـام وأديب، لكنه أيضا مفكر ومؤلف، وقد خلف عدة مؤلفات منها:

كتاب «رسول الله»، وقد استهدف منه كتابة أول مؤلف في السـيرة النبوية باللغة الفرنسـية يكون الاعتماد فيه علـى الأصـول العربيـة وكتـب السـيرة الأصليـة، فتجاوز في ذلك كتابات المستشـرقين التي كانت مهيمنة في زمانـه. ترجمه إلى العربية شـيخ الأزهر السـابق المرحوم عبد الحليم محمود، وابنه محمد عبد الحليم.

«أشعة خاصة بنور الإسلام» وهو كتاب موجه إلى القراء الأوروبييـن، سـعى مـن خلاله إلـى التأكيـد على عظمة الإسلام وحضارتـه وأشـاد فيه بكبار علماء الإسلام في مختلف العلوم الدقيقة.

كتـاب «الشـرق فـي نظـر الغـرب» L'orient vu de l'occident ويعتبـر نموذجـا حيا لمدى غيـرة دينيه ورغبته في الدفاع عنه ضد مطاعن المستشـرقين حيث سـعى بمعاونة صديقه سليمان بن إبراهيم إلى تفكيك وتفنيد بعض أفكار المستشرقين المرتبطة بحقل السيرة النبوية وقد قمتُ بترجمته ونشره قبل عام.

كتـاب «الحـج إلى بيت الله الحرام» وهو عبارة عن مسـح جغرافي وتقرير شامل عن رحلة الحج التي قام بها دينيه برفقة صديقه سليمان بن إبراهيم عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م مع الحرص على شـرح مغزى وغاية وثمرات كل شـعيرة مـن الشـعائر، وقـد زيـن الكتـاب بثمانـي صور مـن إبداع ريشـته تتعلق بالكعبة المشـرفة والحرم الشريف ومنظر الحج بعرفات وغيرها.

رحمة الله بعباده

ميمونه محمد بالخير

رحمة الله تعالى من أعظم صفاتِه وأوسعِها، فهي التي وسعتْ كلّ شيءٍ، وشملتِ المؤمنَ والكافرَ، والطائعَ والعاصيَ، في الدنيا والآخرة، وقد جعلهاَ اللهُ أساسَ العلاقةِ بينه وبين عبادِه.

وقد قدّم النبي ﷺ أبلغَ تصويرٍ لعظمة رحمة الله حين قرّبها إلى أفهام الناس بأقوى مثالٍ يعرفه البشر: رحمةُ الأم بولدها. ففي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب، شاهد ﷺ امرأةً تبحث بلهفةٍ عن طفلها، حتى إذا عثرت عليه ضمّته إلى جسدها بشدةٍ وحنانٍ غامر، في مشهدٍ يهزّ القلوب. عندها قال النبي ﷺ لأصحابه: «أَتُرَوْنَ هذِه طَارِحَةً ولَدَهَا في النّارِ؟» قُلْنَا: لَا، وهي تَقْدِرُ علَى ألّا تَطْرَحَهُ، فقال «إن الله أرحم بعباده من هذه بولدها». فهذا المشهدُ المؤثرُ الذي تمتلئُ فيه القلوبُ شفقةً وحنانًا، جعله النبيّ ﷺ مثالًا يُقرّبُ للناس معنى رحمةِ الله، ليُدركوا أن رحمةَ الخالقِ أعظمُ وأوسعُ من رحمةِ المخلوقِ مهما بلغتْ.

ومن أعظم مظاهرِ رحمةِ الله بعبادِه أنه رزقَهم، وسخّرَ لهمَ ما في السماواتِ وما في الأرضِ، وهيّأ لهم أسبابَ العيشِ والاستقرارِ، حتى لمن قصّرَ في شكرِه أو غفلَ عن ذكرِه؛ فالنِّعمُ التي يتمتعُ بها الإنسانُ من صحةٍ وأمنٍ وطعامٍ وشرابٍ هي دلائلُ واضحةٌ على رحمةِ اللهِ المستمرةِ.

وتتجلّى رحمةُ الله أيضًا في حلمِه على عبادِه، فهو سبحانه لا يعاجلُهم بالعقوبةِ، بل يُمهلُهم ويدعوهم إلى التوبةِ والرجوعِ إليه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [النحل: ٦١]. وهذا الإمهالُ رحمةٌ عظيمةٌ، يفتحُ بابَ الإصلاحِ ويمنحُ الإنسانَ فرصةً جديدةً لتصحيحِ مسارِه.

ومن مظاهرِ رحمتِه كذلك تشريعاتُه الحكيمةُ، فجميعُ أوامرِه ونواهيه قائمةٌ على التيسيرِ ورفعِ المشقةِ، فلم يكلّفِ العبادَ بما لا يطيقون، بل قال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وجعلَ في العباداتِ تهذيبًا للنفسِ ورحمةً للقلبِ، وفي الحدودِ حمايةً للمجتمعِ وصيانةً للحقوقِ.

ومن رحمته بعبادِه أنه لم يتركْهم حائرين في هذه الحياةِ، بل أرسلَ إليهم الرسلَ، وأنزلَ الكتبَ، ليهديَهم إلى طريقِ الحقّ ويُخرجَهم من الظلماتِ إلى النورِ. فالهدايةُ أعظمُ رحمةٍ ينالُها الإنسانُ، إذ تحفظُ عليه دينَه وتمنحُه السكينةَ والطمأنينةَ. كما أن اللهَ سبحانه يفرحُ بتوبةِ عبدِه إذا رجعَ إليه، ويبدّلُ سيئاتِه حسناتٍ، ويجازي على القليلِ من العملِ بالأجرِ العظيمِ.

كما تظهرُ رحمةُ اللهِ في الابتلاءاتِ التي يمرُّ بها الإنسانُ، فمهما كانتْ مؤلمةً فإنها لا تخلو من خيرٍ ورحمةٍ، إذ تكونُ سببًا في تكفيرِ السيئاتِ ورفعِ الدرجاتِ، وتنبيهِ القلبِ إلى العودةِ إلى اللهِ والاعتمادِ عليه وحده.

وتتجلى رحمةُ اللهِ يومَ القيامةِ أعظمَ تجلٍّ، حين يغلبُ عفوُه عقابَه، ويدخلُ برحمتِه من يشاءُ من عبادِه الجنةَ. وقد كتبَ اللهُ الرحمةَ على نفسِه، وجعلَ رحمتَه تسبقُ غضبَه، ليبقى الأملُ حيًا في قلوبِ المؤمنين.

وهكذا يدرك المسلم أن رحمة الله ليست معنىً نظريًا فحسب، بل واقعٌ يعيشه في كل لحظة، في عطائه، وستره، ولطفه الخفي، مما يزيده شكرًا وخضوعًا ومحبةً لربه الكريم الرحيم، ويجعل قلبه متعلقًا بالله دائمًا، مطمئنًا بوعده، راضيًا بقضائه، حسن التوكل عليه في جميع أحواله، في السر والعلن دائمًا، ويقينًا.

رابطة العالم الإسلامي
MUSLIM WORLD LEAGUE